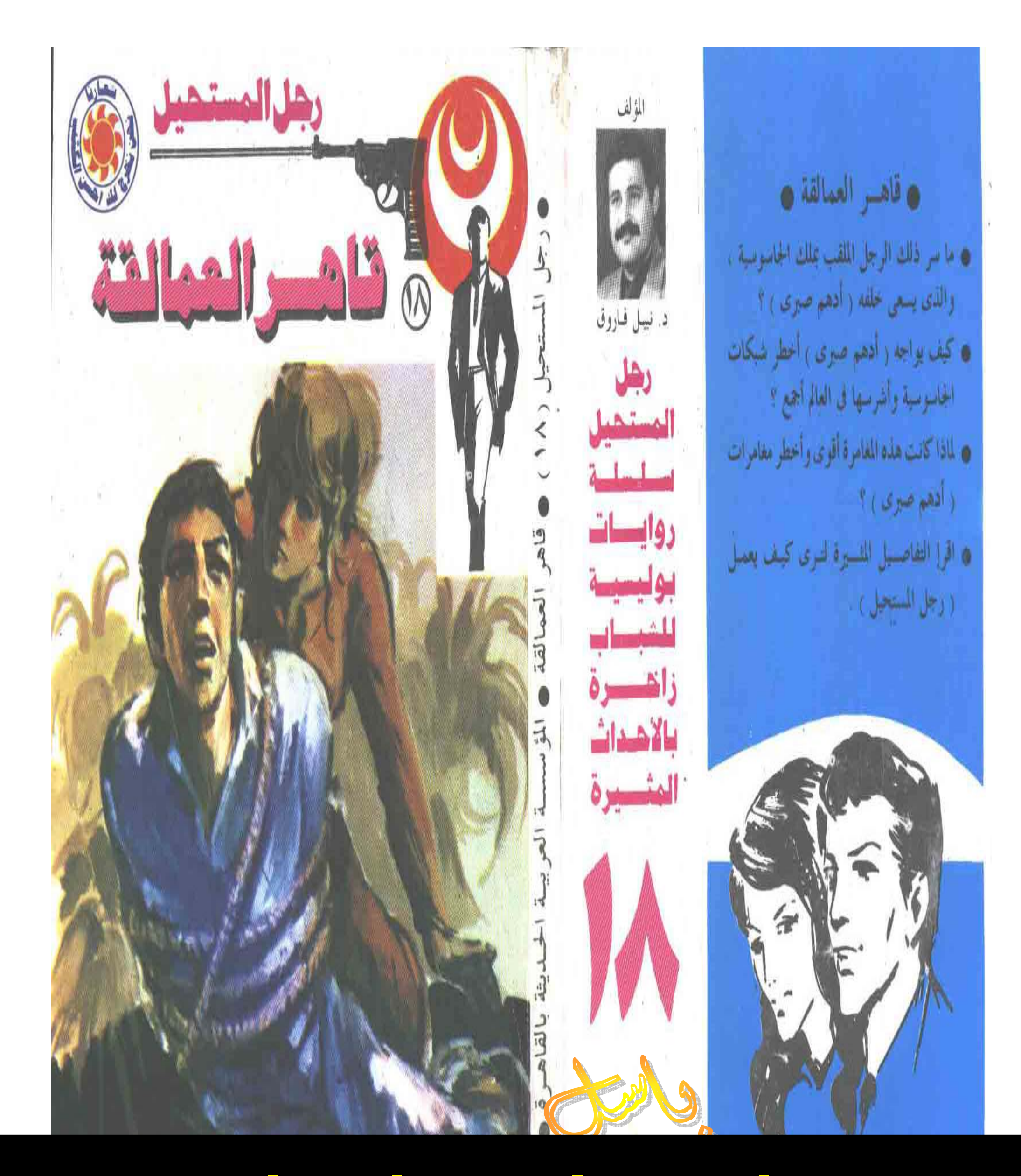

رجل المستحيل
قاهر العمالقة
١٨
رجل المستحيل (١٨) ● قاهر العمالقة ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة
المؤلف
د. نبيل فاروق
رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة
١٨
● قاهر العمالقة ●
● ما سر ذلك الرجل الملقب بملك الجاسوسية ، والذى يسعى خلفه (أدهم صبرى) ؟
● كيف يواجه (أدهم صبرى) أخطر شبكات الجاسوسية وأشرسها فى العالم أجمع ؟
● لماذا كانت هذه المغامرة أقوى وأخطر مغامرات (أدهم صبرى) ؟
● اقرأ التفاصيل المثيرة لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ العمـلاق ..

عبر المقدم (أدهم صبرى) بخطواته الواسعة بوابة السور المحيط بمبنى المخابرات العامة المصرية ، ولوّح بيـده تحية للحارس ، الذى ابتسم وهو يرد التحية بأسلوب رسمى ، متمتمًا ببعض عبارات التحيـة الخافتـة ، التى لم تصل إلى مسامع (أدهم) ، الذى وصل إلى مدخل المبنى ، وقفز درجاته بخفة ورشاقة ، وهو يوزع تحياته على زملائه الذين يتحركون فى كل مكان بجدّ ونشاط ، ثم أسرع الخطا فى الممر الطويل ، الذى يمتلئ جانباه بالغرف المغلقة ، وتوقف أمام غرفة تحمل رقم (سبعة) ، وطرق بابها ، وانتظر لحظة حتى سمع صوتًا يقول بضجر :

ــ أسرع بالدخول يا من تطرق الباب ، واحرص على ألاّ تدخل معك بعض الهواء الساخن .

دفع (أدهم) مقبض الباب ، ودخل إلى الحجرة ،

وأغلقه خلفه ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامته الساخرة المألوفة ، وهو يقول :

ــ معذرة يا صديقى البدين ، لقد حملت معى بعض نسمات الصيف .

ارتفع فى الغرفة صوت ضحكة مرحة عالية ، ونهض (قدرى) من مقعده الصغير ، وتدحرج جسده الضخم المترهّل ، وهو يصافح (أدهم) بحرارة ، ويهزّ يده قائلاً بترحاب :

ــ مرحبًا أيها المقدم .. يا لها من مفاجأة سارة !! متى عدت من (هونج كونج) ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو يجلس على مقعد مواجه :

ــ ما هذا ؟.. ألم تعد هناك أسرار داخل جدران الإدارة ؟

ارتج جسد (قدرى) البدين وهو يقهقه بمرح ، ثم غمز بعينيه قائلاً :

ــ هذه هى الغرفة الوحيدة التى لا يمكن إخفاء الأمور عنها يا صديقى ، فمن هنا تخرج جوازات سفركم المزوّرة ، وصوركم المبدلة بإتقان ، و ....

ضحك (أدهم) وهو يربّت على كتف (قدرى) قائلاً :

ــ حسنًا يا كبير المزوّرين ، كفاك تفاخرًا .

ثم نهض وأخذ يعدّل من وضع رباط عنقه ، فضحك (قدرى) وهو يشير إليه قائلاً :

ــ أخبرنى بالله عليك يا (أدهم) ، كيف يمكنك ارتداء حُلّة كاملة ، ورباط عنق فى شهر يوليو ؟ إننى أقيم بصفة دائمة محتميًا بتكييف غرفتى .

هزّ (أدهم) كتفيه ، وابتسم وهو يقول :

ــ الأناقة يا صديقى .. ولا تنس أننى خارج هذا المبنى رجل أعمال ، ولست ضابط مخابرات .

قهقه (قدرى) ضاحكًا ، وهمّ بالتعليق على عبارة (أدهم) ، إلاّ أن هذا الأخير فتح باب الغرفة وهو يقول :

ـ معذرة يا صديقى البدين .. كنت أودّ أن أقضى وقتًا أطول بصحبتك ، ولكننى هنا من أجل مهمّة رسمية ، فلقد استدعانى السيد المدير ، فَوْر عودتى من (هونج كونج) ، ولا ريب أننى لن أجد الوقت الكافى لإفراغ حقائبى .

تمتم (قدرى) بصوت خافت ، تنم نبراته عن الإعجاب :

ـ هذه هى ضريبة التفوّق يا صديقى .. إنك تدفع ثمن تلقيبك .. برجل المستحيل .

* * *

لم يكن مدير المخابرات فى مكتبه ؛ ولذلك وافاه (أدهم) فى غرفة العرض السينمائى ، كما طلب .. وما أن وقع بصر مدير المخابرات على رجُله ، حتى أشار إليه بالجلوس إلى جواره ، وأشعل سيجارة نفث دخانها فى الهواء قبل أن يقول بصوت نمَّت نبراته عن قلق خفى :

ـ التقرير الذى قدمته عن عملية (هونج كونج)

ممتاز أيها المقدم .. أهنئك والآن أعرنى سمعك وانتباهك جيدًا .

ثم اعتدل فى مقعده ، وسحب نفسًا قويًّا من سيجارته ، وقال :

ـ لقد كان أمامى مهمة تحتاج إلى رجل مثلك يا (ن ـ ١) ، ولكننى وجدت من الحكمة عدم تكليفك إيّاها ، نظرًا لأنها تحتاج إلى السفر للولايات المتحدة الأمريكية ، وأنت تعلم كم لك من أعداء هناك !.

هزّ (أدهم) كتفيه بلا مبالاة ، وقال :

ـ إذا كنت تعنى دون (ريكاردو) ، ورجال (المافيا) ، فهذا لا يخيفنى يا سيدى ، ثم إن دون (ريكاردو) ما زال فى سجنه منذ أوقعت به سابقًا[1] .

ابتسم مدير المخابرات ابتسامة شاحبة وهو يقول :

ـ إن دون (ريكاردو) يدير (المافيا) من

(١) راجع قصة : (قناع الخطر) المغامرة رقم (٣) .

سجنه ، كما لو كان يعيش وسطها يا (ن ـ ١) ؛ وما زال زعيم عصابات الولايات المتحدة حتى الآن .

ثم نفث دخان سيجارته بشىء من العصبية وهو يقول متابعًا :

ـ فلنعد إلى المهمة التى طلبتك من أجلها .

وبإشارة من يده أطفئت أضواء قاعة العرض السينمائى ، وبدأ عرض فيلم متحرك لأحد الموانى الخاصة على ساحل خليج المكسيك ، وقال مدير المخابرات وهو يتابع المشهد باهتمام :

ـ ما تراه الآن هو الميناء الخاص لرجل يدعى (چيمس براند) .. واحد من أباطرة الاقتصاد فى الولايات المتحدة الأمريكية .. ملياردير يملك وحده خُمس أراضى ولاية (تكساس) تقريبًا ، بالإضافة إلى عدد كبير من المنشآت الصناعية والتجارية .. إنه باختصار ملك (تكساس) غير المتوج ، وهو يمتلك بالطبع جيشًا من الحرس الخاص ، وترسانة كاملة من

الأسلحة ، يبالغ البعض ، فيقول : إنها قد تضم قنبلة ذرية ، ولكننا نعتبر ذلك نوعًا من التهويل .

وزّع (أدهم) حواسه ما بين سماع مدير المخابرات ومتابعة الفيلم ، الذى ظهرت على شاشته صورة رجل متوسط الطول ، متوسط الوزن ، أميل إلى البدانة ، له وجه مربع قاسى الملامح ، بحاجبيه الرفيعين ، وعينيه الضيقتين ، وأنفه الضخم ، ووجهه الحليق ، وفمه الواسع ، وشعره الكثيف الأشيب تمامًا ..

كان الرجل يتحرك بخطوات هادئة ، ويرتدى ملابس أنيقة للغاية ، حلة بيضاء ، وقميصًا أحمر لا يتناسب مع سنوات عمره ، التى تقترب من الستين ، وفى عروة سترته وضع قرنفلة حمراء ضخمة ، وبين أسنانه طرف سيجار ضخم مشتعل ، يلوكه فى فمه ، وهو يتحدث بغطرسة إلى عدد من الرجال المحيطين به ..

قال مدير المخابرات وهو يشير إلى الرجل :

ـ هذا هو (چيمس براند) يا (ن ـ ١) .. إن

حياة هذا الرجل وملايينه أو ملياراته لا تعنينا بشىء .. إن ما دفعنا إلى مراقبته وتتبعه هو أننا قد كشفنا من خلال بعض عملائنا فى إحدى الدول المعادية ، أن (چيمس براند) هو عملاق الجاسوسية فى الولايات المتحدة الأمريكية .

التقى حاجبا (أدهم) وهو يعيد فحص الرجل بنظراته ، ثم قال بهدوء :

ـــ إلى أى جانب يميل (جيمس براند) هذا يا سيّدى ؟

قال مدير المخابرات بهدوء مماثل :

ـــ إنه يعمل لحسابه الشخصى يا (ن ـــ ١) .. ولقد سبق أن أخبرتك أننى كنت أفضل عدم تكليفك هذه المهمة ؛ ولذلك أرسلت (عصام عبد الحميد) .

قال (أدهم) بدهشة :

ـــ الرائد (عصام) ؟.. ولكنه من أحدث من انضمّوا إلى المخابرات يا سدّى ، وخبراته فى هذا المجال .....

قاطعه مدير المخابرات قائلاً بضيق وأسف :

ـــ لقد عثر رجال شرطة تكساس على جثة (عصام) غارقة فى خليج المكسيك أيها المقدم .

نهض (أدهم) من مقعده بحدّة ، وسار بضع خطوات ، ثم التفت إلى رئيسه ، وقال بصوت يفيض بالحنق :

ـــ ولكن لماذا يا سيدى ؟

قال مدير المخابرات وهو يشعل لفافة أخرى :

ـــ هذا هو ما ستبحث عنه أيها المقدم .. لقد أرسلت (عصام) ؛ لأننى ظننت أن المهمة بسيطة ، ولا تحتاج إلى رجل بالغ الحنكة ، فكل ما طلبته منه هو جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن (جيمس براند) ، حتى يمكننا معرفة ما إذا كان من الممكن الاستفادة به ، أو أنه يعمل لحساب دولة معادية لنا .. ولابدّ أن (عصام) قد كشف نفسه بخطأ ما ، ولابدّ أن (جيمس براند) لا يتورّع عن القتل لحماية مملكته .

ثم نفث دخان سيجارته ، وهو يقول بعصبية عجز عن إخفائها :

ـــ لقد أعلن (چيمس براند) الحرب علينا بقتله (عصام) .

ونهض يتأمل صورة (چيمس) عن قرب ، ثم تابع بهدوء :

ـــ إن هذا الرجل يخفى شيئًا ما يا (أدهم) .. شيئًا يضر بدولتنا ، وينبغى لنا معرفته .

واستدار ببطء بجسده كله حتى أصبح فى مواجهة (أدهم) ، وقال :

ـــ متى ستكون مستعدًا يا (ن ـــ ١) ، أنت وزميلتك ؟

برقت عينا (أدهم) ببريق الحزم والعزم ، وهو يقول ببطء وقوة :

ـــ فى الحال يا سيدى .. من أجل مصر .. ومن أجل الشهيد (عصام) .

* * *

٢ ـــ شيطان الروديو ..

هبط (چيمس براند) من سيارته البويك الأنيقة ، ووضع على عينيه منظاره الشمسى القاتم ، ثم سار بخطوات تملؤها الخيلاء ، يحيط به عدد ضخم من حرسه المسلح ، وأسرع أحدهم يجذب مقعدًا ، وهو ينحنى بخضوع ، حتى جلس (چيمس) ، على حين أسرع رجل آخر يشعل سيجار (چيمس) بقدّاحته .. ونفث (چيمس) دخان سيجاره بعظمة ، ودار ببصره يتأمّل الحشد المحيط بالساحة ، التى ستقام فيها مسابقة (الروديو) بعد قليل ، وتوقف فجأة ، وضاقت عيناه عندما وقع بصره على فتاة شقراء ، تتحدث بمرح إلى رجل طويل القامة ، وسيم الملامح ، يجلس بجوارها ، فأشار إلى أحد رجاله ، وسأله هامسًا :

ـــ إننى ألمح وجهين جديدين فى الساحة

يا (أندرو) .. من هذه الشقراء الفاتنة ؟

اختلس (أندرو) النظر إلى حيث يجلس الرجل والفتاة ، وقال :

ـ هذا الرجل الوسيم الكثيف الشارب مكسيكى ، يدعى (أنزيو) ، ولقد تقدم باسمه للاشتراك فى المسابقة ، أما زميلته فهى فرنسية على الأرجح ، فهى لا تجيد الأمريكية ولا الأسبانية .

تطلّع (جيمس) مرة أخرى إلى الرجل والفتاة ، ثم قال ببطء :

ـ وهل سبق (لأنزيو) هذا الاشتراك فى مباريات (الروديو) ؟

هزّ (أندرو) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لم يسبق لى أن سمعت باسمه من قبل ، كما لا أذكر ملامحه .

ابتسم (جيمس) ابتسامة ماكرة . واثقة ، وقال :

ـ هكذا ؟ .. اتصل بصديقنا (ساندر) ، واطلب

منه تحرّى الأمر .. وسيدهشنى أن يحصل على تاريخ رياضى للمدعو (أنزيو) .

ثم انطلقت من بين شفتيه ضحكة ساخرة ، وهو يردف قائلًا :

ـ وما هى إلا لحظات وتتضح الأمور .. إن (أنزيو) هذا لن يصمد أكثر من ثانية واحدة على ظهر جواده .

* * *

ابتسمت (منى توفيق) متظاهرة بالمرح ، وهى تهمس فى أذن (أدهم) ، بصوت عبّر عن القلق الذى يجيش بصدرها :

ـ لست أعترض على قرارك يا (أدهم) ، ولكن ما يقلقنى هو اشتراكك فى مسابقة لا أدرى قواعدها بالضبط .

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو يداعب شاربه الكثيف المستعار :

ـ إنها مسابقة طريفة ، وبسيطة للغاية يا عزيزتى ..

كل ما فى الأمر أن ينجح المتسابق فى البقاء على ظهر جواد وحشىّ غير مروّض لنصف دقيقة فقط ، ثم يتبارى المتسابقون فى استخدام أنشوطة الحبال واصطياد عجل متمرّد ، وإحكام رباطه فى أقصر مدة ممكنة .

ابتسمت (منى) بسخرية ، وقالت :

ـ يا للبساطة !! تمامًا مثلما يحدث فى أفلام رعاة البقر القديمة .

ثم أردفت بقلق :

ـ اسمع يا سيادة المقدم .. إن هذه المسابقات غاية فى الصعوبة والخطورة ، وأبطالها يقضون أعوامًا فى التدريب على هذه الأمور ، التى تراها بسيطة لهذه الدرجة ، ولا تنس أن بعضًا منهم يصاب بكسور وكدمات ، برغم التدريب الشاق المتواصل .

ضحك (أدهم) وربّت على كتفيها ، وهو يقول ببساطة :

ـ لا تقلقى يا عزيزتى .. إن الأمر أبسط مما تتوقّعين .

همّت بمعارضته ، عندما ارتفع هتاف المتفرجين وصياحهم ، فقال (أدهم) بهدوء :

ـ لقد قضى الأمر يا عزيزتى .. بدأت المسابقة .

أخذت (منى) تراقب المتسابقين باهتمام ، وسرعان ما عبّرت كل خلجة من خلجات وجهها عن القلق البالغ والعنيف ، وهى تشاهد الحركات العنيفة القاسية التى يقوم بها كل منهم ، فى محاولة للسيطرة على جواده ، ثم التفتت إلى (أدهم) ، وتشبثت بذراعه صائحة :

ـ بالله عليك يا سيّدى .. دع هذه المسابقة .

ابتسم (أدهم) ، وأزاح يدها بهدوء قائلًا :

ـ مستحيل يا عزيزتى .. لقد راهن (جيمس براند) بعشرين ألف دولار على فوز بطل اللعبة السابق ، ولابدّ لى من مفاجآته .

تمتمت بغضب :

ـ قلبى يحدثنى أن المفاجأة ستكون من نصيبنا .

ضحك بسخرية قائلًا :

— لقد أخطأ قلبك هذه المرة يا عزيزتى .. لقد حقق البطل السابق أربعين ثانية على ظهر جواده ، واقتنص صيده فى نصف دقيقة ، ولا بدَّ لى من تحطيم هذه الأرقام .

خرجت من بين شفتى (منى) ضحكة مريرة ، وهى تقول :

— أو يتحطم جسدك !

ضحك (أدهم) ضحكة ساخرة عالية ، وهو ينهض من مقعده قائلاً :

— راقبى ذلك جيدًا يا عزيزتى ، فسيحين دورى بعد لحظات .

راقبته بأسى وهو يبتعد بزيِّه الذى يشبه زِىّ رعاة الأبقار ، ثم تمتمت بقلق :

— يا لك من عنيد !!

وعلى الرغم منها ارتسمت ابتسامة حانية فوق شفتيها ، وهى تستطرد بصوت خافت :

— ولكننى أعشق عنادك هذا .

* * *

ضحك (چيمس) بمرح وهو يقول :

— أعتقد أنه من الأفضل أن أقبض مبلغ الرهان وأرباحه ، فلم يعد باقيًا سوى ذلك المكسيكى المغرور .

قال (أندرو) بهدوء :

— دعنا ننتظر قليلاً يا سيِّدى .. لنشاهد أداءه على الأقل .

قهقه (چيمس) ضاحكًا ، وقال :

— نعم يا (أندرو) .. أعتقد أننى بحاجة إلى بعض المرح .

ثم أشار إلى حيث تنطلق الجياد ، وقال :

— راقبوا يا رجال .. ستبدأ المهزلة الآن .

وبرغم الأسلوب الساخر الذى تحدث به (چيمس) ، إلَّا أن أبصار المشاهدين تعلقت بجسد (أدهم) الممشوق ، وهو يندفع فوق جواد شديد

السواد ، يضرب بقوائمه فى الأرض والهواء بشراسة ووحشية ، وقد اندفع الزبد من بين شدقيه ، وهو يحاول إلقاء الفارس المتشبث فوق ظهره ..

كان صراعًا عنيفًا شرسًا ، بين جواد جامح يرفض الخضوع ، وفارس صلب كالفولاذ ، يقبض على عنان جواده بقبضة من حديد ، ويضم فخذيه على وسطه بقوة ، لم يعهدها الجواد من قبل .. كان صراعًا بين جواد قاد يومًا عشيرته ، ورجل يعد فلتة بين البشر ..

نهض المشاهدون وقد تملكهم الحماس ، وشملهم الصمت لحظات ، ثم انطلقت من أفواه بعضهم هتافات حماسية ، وسرعان ما التهب المشاهدون ، وقفز (چيمس) من مقعده متخليًا عن وقاره وهو يصرخ بذهول :

— مستحيل !! مستحيل !! لقد تعدى الدقيقة .

تحولت حلقة المسابقة إلى كتلة ملتهبة من الحماسة ، وانفجرت الهتافات من الحناجر ، عندما تخطى (أدهم)

الدقيقة والنصف فوق جواده ، الذى ازدادت شراسته ، وأخذ يقفز بجنون ، وكأنه يرفض الهزيمة ، ولكن (أدهم) زاد من شدة قبضته على العنان ، وهو يقول بسخرية :

— استسلم يا صديقى .. لقد هزمت من هم أكثر شراسة ووحشية منك .

وفى مقصورة (چيمس) الذى تملكه الذهول ، هتف (أندرو) بدهشة :

— مستحيل !! لقد تخطى الدقيقتين .. سيستسلم الجواد .

كانت شراسة الجواد قد خفَّت ، وبدأ يضرب قوائمه فى الأرض بتخاذل ، وكأنه قد اعترف لقائده بالقوة والسيطرة .. ورفع بطل اللعبة السابق قبعته ، وقال بذهول :

— يا للشيطان !! لم أتصور إمكان حدوث ذلك فى عصرنا هذا .



كانت شراسة الجواد قد خفت ..

قفز المشاهدون من مقاعدهم،، وارتفعت قبعاتهم فى الهواء ، وقد تملكهم حماس جنونى عندما استسلم الجواد تمامًا ، وسار بخطوات هادئة مستسلمة ، مستجيبًا لفارسه ، وهتف عجوز يجلس فى المقاعد الأمامية وهو يلقى قبعته نحو (أدهم) :

ــ لك الفخر يا فتى .. ما زال فى الغرب فرسان .

التقط (أدهم) القبعة بمهارة ، ثم قذف بها لتستقر فوق رأس العجوز ، مما زاد من حماس الجماهير وهتافهم الجنونى ، وبهدوء وبساطة هبط من فوق ظهر الجواد وأخذ يربِّت على عنقه ، وابتسم وهو يلوِّح لـ(منى) ، التى قالت مغالبة دموعها :

ــ نعم أيها العجوز ، ما زال هناك فرسان ، ولكن ليس فى الغرب .

أما (چيمس) فلقد تمتم بحنق :

ــ لم ينته الأمر بعد ، لم يزل أمامه نصف المسابقة ، لابدَّ له من اصطياد فريسته فى أقل من نصف الدقيقة .

أشار (أندرو) إلى الساحة قائلاً :

ــ ها هم أولاء يطلقون العجل ، وها هو ذا (أنزيو) يطوِّح بأنشوطته نحوه .

التفت إليه (چيمس) قائلاً بحنق :

ــ لنر كم من الوقت يستغرقه لأداء مهمته .. لماذا

يتدلى فكك هكذا ؟

أشار (أندرو) إلى الساحة بأصابع مرتجفة ، وحاول أن ينطق ، إلَّا أن هتاف الجماهير الجنونى غطَّى على صوته ، فأدار (چيمس) رأسه بحركة حادة ، وتدلَّت فكه السفلى بدوره ، وسقط سيجاره المشتعل ، واختفت عيناه الجاحظتان خلف منظاره الشمسى ، وهو يحدِّق بذهول فى (أدهم) ، الذى كان يضع اللمسات الأخيرة فى القيود ، ثم ينهض ويرفع قبعته تحية للجماهير ، التى ألهبها الحماس .

صاح (چيمس) بذهول ، وهو ينظر إلى ساعته :

ــ عشر ثوان .. مستحيل .. هذا الرجل ليس من البشر .. إنه .. إنه شيطان .

ثم ضرب على مقعده بقوة وهو يصيح بغضب جنونى :

ــ أريد هذا الرجل وزميلته الشقراء يا (أندرو) .. أريدهما مهما كان الثمن .

* * *

٣ ــ الحرب الباردة ..

حمل جمهور المشاهدين (أدهم) بحماس وسط هتافاتهم إلى حيث تسلم جائزته ، وهى جواد من الذهب يركل الهواء بقائمتيه الخلفيتين ، وتقدَّم عدد من محترفى (الروديو) ، يعرضون على (أدهم) الاشتراك فى مسابقات أخرى لحسابهم ، وحاولوا إغراءه بمبالغ ضخمة ، إلاّ أنه أحاط كتف (منى) بذراعه وهو يقول مبتسمًا :

ــ ليس الآن أيها السادة .. ربما فى العام القادم .

وهنا جاء صوت (أندرو) حاسمًا قويًّا يقول :

ــ هيَّا أيها السادة ، لقد انفض الحفل .. ليعد كل منكم إلى منزله .

وهنا أيضًا تجلَّت قوة وسطوة (چيمس براند) .. فقد وجم الجميع ،وبدءوا فى الانصراف ، وهم يتمتمون

بعبارات ساخطة ، لم يجرؤ أحدهم على التفوّه بها بصوت مسموع ، ولم يلبث (أدهم) أن وجد نفسه وحيدًا هو و (منى) فى الساحة ، وأمامهم رجال (چيمس براند)، الذى جلس فى المقعد الخلفى لسيارته ، ينفث دخان سيجارته بعظمة ، ويتابع الموقف بثقة .

قال (أدهم) بسخرية وهو يجذب (منى) من معصمها :

ـــ هيّا بنا يا عزيزتى (كاترين) .. يبدو أن هؤلاء الأوغاد يفضلون البقاء وحدهم .

أوقفه (أندرو) بأن مدّ ذراعه أمامه قائلاً :

ـــ مستر (چيمس) يرغب فى مقابلتك يا سنيور (أنزيو) .

تأمّل (أدهم) بسخرية قامة (أندرو) المديدة ، ووجهه المستطيل القوى ، ذا العينين الواسعتين ، والفم الصغير ، والذقن المدببة ، والأنف الطويل ، ثم قال بهدوء :

ـــ حسنًا .. أنا فى انتظاره .

تراقصت ابتسامة ساخرة على شفتى (أندرو) وهو يقول :

ـــ ستذهب إليه حيث يجلس فى سيارته يا سنيور (أنزيو) .

ضحك (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وعقد ساعديه أمام صدره قائلاً بتهكم :

ـــ عجبًا !! كنت أظن أنه هو الذى يريد مقابلتى لا أنا !

ظهر الضيق على وجه (أندرو) وهو يقول :

ـــ تحرّك بسرعة يا رجل .. إن مستر (جيمس) لا يتميّز بالصبر .

قال (أدهم) بهدوء وسخرية :

ـــ سيكون عليه أن يعدو إذن ، ما دام يريد مقابلتى بهذه السرعة .

انفجر الغضب فى ملامح (أندرو) ، وهو يمسك كتف (أدهم) صائحًا :

ـــ تحرّك أيها الوغد وإلاّ ..

لا ريب أن (أندرو) قد شعر بالندم الشديد على تفوّهه بهذه العبارة ، ولا شك أن هذا الندم قد لازمه ما بقى له من العمر ، فلقد تحرّكت قبضة (أدهم) كالصاعقة ، لتهبط فوق فك (أندرو) ، الذى ترنّح وجحظت عيناه دهشة ، وألمًا ، وطوّح بذراعيه فى الهواء فى محاولة لحفظ توازنه ، إلاّ أن (أدهم) لحقه بلكمة أخرى ، غاصت فى معدته ، ثم هشّم أسنانه الأمامية بلكمة فى قوة القنبلة ، أطاحت بـ (أندرو) بعيدًا ، ليستقر فاقد الوعى فوق الأرض الرملية ...

استغرق أثر المفاجأة ثانية واحدة ، على الرجال الخمسة عشر القائمين على حراسة (جيمس براند) ، وبعدها انتزع كل منهم مسدسه ، وتوجهت فوهات المسدسات الخمسة عشر من نواح مختلفة نحو (أدهم) و (منى) ، واستعد الرجال لإطلاقها .

* * *

تشبثت (منى) بذراع (أدهم) فى ذعر ، واتخذ هو وضعًا قتاليا شبيها بذلك الذى يتخذه لاعبو الكاراتيه ، برغم استحالة مهاجمته للرجال الخمسة عشر المتفرقين فى أنحاء الساحة ..

وفجأة دوّى صوت (جيمس براند) قائلاً :

ـــ كفى .. أعيدوا مسدساتكم إلى سستراتكم يا رجال .

ثم سار بخطوات هادئة رزينة نحو (أدهم) ، وما أن أصبح على بعد خطوتين منه حتى توقّف وأشعل سيجارًا ، نفث دخانه بعظمته المعتادة ، ثم واجه (أدهم) قائلاً بهدوء :

ـــ أنت مدين لى بعشرين ألف دولار يا سنيور (أنزيو) .

هزّ (أدهم) كتفيه بسخرية ، وهو يقول :

ـــ عجبًا !! لست أذكر أننى استدنت مثل هذا المبلغ من قبل .

ابتسم (چيمس) بهدوء ، وقال :

ـ لقد خسرت أنا هذا المبلغ بسببك يا سنيور (أنزيو) .. كنت قد راهنت به على فوز البطل السابق ، و ....

قاطعه (أدهم) قائلاً :

ـ إنك تثير دهشتى يا مستر .. هل كنت تظن أن نتائج المراهنات إيجابية دائمًا ؟

اتسعت ابتسامة (چيمس) وهو يُعدِّل من وضع قرنفلته الحمراء ، ثم قال :

ـ تعجبنى روحك المرحة هذه يا سنيور (أنزيو) .. وأعتقد أنى أحتاج إلى التحدُّث إليك طويلًا .. أنتما ضيفاى الليلة على العشاء .. أعنيك وزميلتك الشقراء الفاتنة .

ظلّ (أدهم) يحدّق فى وجهه لحظة ، ثم قال ببطء وهدوء :

ـ سأفكر فى الأمر يا مستر (چيمس) .. ربَّما ..

تناول (چيمس) كفّ (منى) ، وانحنى بطريقة مسرحية يقبل أناملها ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ سأكون بانتظاركما فى السابعة .

ثم تحرَّك عدة خطوات نحو سيارته ، وقبل أن يدخلها استدار نحو (أدهم) و (منى) ، وابتسم وهو يقول بهدوء :

ـ سيكون عشاء عمل يا سنيور (أنزيو) .

وانطلقت سيارته مبتعدة ، تتبعها سيارات حرسه المسلح ، فتنهدت (منى) بعمق ، وقالت وهى ترخى كتفيها باسترخاء :

ـ لقد تملكنى الرعب لحظة صوبوا مسدساتهم نحونا .. تصورت أنها النهاية .

ابتسم (أدهم) بهدوء وقال :

ـ أما أنا فلقد شعرت بالخوف فى لحظة واحدة .

نظرت إليه (منى) بمزيد من الدهشة والفضول وهى تسأله :

ـ أنت شعرت بالخوف ؟.. متى ؟

ابتسم بخبث وهو يتحسس شاربه المستعار قائلاً :

ـ عندما كنت فوق ظهر هذا الجواد الجامح .. خشيت لحظتها أن يسقط شاربى المستعار ، وينكشف أمرنا .

* * *



دفعت (منى) الباب ودخلت الغرفة بهدوء ..

٤ ـ رائحة الخطر ..

أخرج (أدهم) من حقيبته مسدسًا من النوع ذى الساقية ، فحصه بسرعة ليتأكد من صلاحيته للاستخدام ، ثم أخذ يحشوه بالرصاصات عندما دق بابه ثلاث دقات متوالية ، فقال بهدوء وهو يدس مسدسه فى جيب سرى أسفل سترته :

ـ يمكنك الدخول يا عزيزتى (كاترين) ، فلقد انتهيت من ارتداء ثيابى .

دفعت (منى) الباب ودخلت الغرفة بهدوء ، وهنا أطلق (أدهم) صفير إعجاب طويل ، وهو يتأمل ثوبها الوردى الأنيق ، وشعرها الناعم المصبوغ باللون الأشقر ، والذى عقصته خلف رأسها ، تاركة بضع خصلات مُدلاّة على كتفيها بشكل زاد من حسنها ، واصطبغ خدَّاها بحمرة الخجل ، عندما قال (أدهم) بصوت أقرب إلى الخفوت :

— يا للروعة !! إنك تبدين كأميرات الأساطير يا عزيزتى .

ازدادت حمرة خدّيها وهى تقول :

— أنت أيضًا تبدو غاية فى الأناقة يا سيادة المقدم .

كان (أدهم) يرتدى حلة سوداء ، ازدانت بشرائط من الستان الأسود اللامع ، وبأسفلها قميص أبيض ، ورباط عنق أسود صغير ، من النوع الذى يشبه الفراشة ، وابتسم بسخرية وهو يقول :

— ولِمَ لا يا عزيزتى ؟.. لا تنسَىْ أننا بصدد تناول العشاء مع ملك الجريمة والجاسوسية فى (تكساس) .

جلست (منى) على مقعد قريب ، وضمّت كفيها أمام وجهها وهى تقول :

— لماذا نسعى وراء هذا الرجل يا (أدهم) ؟.. أعنى لماذا بخلاف موضوع مقتل الرائد (عصام) ؟

هزّ كتفيه وهو يقول :

— إننا نحاول كشف ما يسعى هو إليه يا عزيزتى .

مالت برأسها يسارًا وهى تقول :

— لماذا لم نتصور احتمال قتله لـ (عصام) لمجرد كشفه أنه يجرى بعض التحريات عنه ؟.. أعنى أن رجلاً مثل (چيمس براند) لن يسمح لأى رجل أيا كان انتماؤه أن يتحرّى عنه ، وسوف يسعى للتخلص منه بدافع شعوره بالقوة والعظمة ، وليس من الضرورىّ أن يكون هذا بسبب أعمال جاسوسية ، تضر بأمن مصر ، أو غيرها من الدول .

ظلّ (أدهم) صامتًا لحظة ، ثم قال :

— ربما يا عزيزتى ، ولكن إقدامه على التخلُّص من (عصام) فى حد ذاته عمل يستدعى منا الانتقام .. ولن يكون هذا الانتقام إلاّ بتحطيم (چيمس براند) ومملكته ..

ثم نهض وعاونها على النهوض ، وهو يستطرد بصوت بعث القلق فى نفسها :

— إننى أشم رائحة الخطر فى هذا الرجل

يا (منى) .. ولن أكتفى بمجرد تحطيمه .. إنما أنا أسعى لإذلاله تمامًا ، وهذا أقل عقاب لمن يجرؤ على تحدى المخابرات المصرية .

* * *

استقبلهما (چيمس براند) بترحاب مبالغ فيه ، وقبّل أنامل (منى) بأسلوب ديبلوماسى وهو يقول مبتسمًا :

— مرحبًا بكما فى قصرى المتواضع .. لقد خشيت بعض الوقت أن ترفضا دعوتى .

تأمّلت (منى) القصر المهيب بأثاثه الذى يدل على مدى ثراء صاحبه ، ثم قالت :

— هل تسمّى هذا المكان بقصرك المتواضع ؟.. إن عبارتك هى المتواضعة يا مستر (چيمس) .

كان (چيمس) يرتدى حلة حمراء زاهية ، بشكل لا يتناسب مع سنه ، وقميصًا أبيض ناصعًا ، و (كوفية) حمراء منقطة باللون الأبيض ، وفى عروة

سترته قرنفلة بيضاء ، وبين أصابعه سيجار فاخر كعادته ، وكان يبتسم وهو يقول :

— إن هذا القصر يبدو كالكوخ الحقير بجوار جمالك المبهر يا عزيزتى (كاترين) .

قادهما فى الحال إلى مائدة كبيرة ، اصطفت فوقها أصناف شتى من الطعام الغالى الثمن المعدّ بعناية بالغة ، وجلس على رأسها ، على حين جلس (أدهم) إلى يمينه وبجواره (منى) ، وابتسم (أدهم) بسخرية عندما جلس على المقعد المقابل له عبر المائدة (أندرو) بوجهه الذى غطته الضمادات ، وقال (چيمس) :

— هذا (أندرو) ، ساعدى الأيمن يا سنيور أنزيو) .. إنه ذلك الرجل الذى حطمت وجهه هذا الصباح .

قال (أدهم) بسخريته المألوفة :

— لو أنه تحدث بقليل من التهذيب لاحتفظ بأسنانه من أجل هذه الوجبة .

ظهر الحنق على وجه (أندرو) ، على حين ضحك (چيمس) ، وقال :

ـ لقد أظهرت مهارة رائعة يا سنيور (أنزيو) .. مهارة كادت تكلفك حياتك .

اقترب أحد خدم (چيمس) من (أدهم) ، وصبّ فى الكأس الذى أمامه بعض النبيذ ، إلاّ أن (أدهم) قال بهدوء :

ـ معذرة .. إننى لا أتناول الخمر .

رفع (چيمس) حاجبيه متظاهرًا بالدهشة ، وقال :

ـ عجبًا !.. ستزداد دهشتى لو علمت أنك لا تدخن أيضًا .

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ دعها تزداد يا مستر (چيمس) .. إن (كاترين) أيضًا لا تدخن أو تشرب الخمر .

قهقه (چيمس) ضاحكًا ، وقال :

ـ تمامًا مثل أبطال المسلسلات التليفزيونية القديمة ..

تناول الجميع العشاء فى هدوء ، وتخلّله بعض أحاديث حول السياسة القديمة ومسابقات (الروديو) ، وفى نهاية العشاء أشعل (چيمس) سيجارًا فاخرًا ، وقال بهدوء وهو يتكئ على مقعده ، ويتأمّل وجه (أدهم) بعين فاحصة :

ـ تُرى .. هل تبخل علىّ بإجابة سؤال يحيّرنى يا سنيور (أنزيو) ؟

اعتدل (أدهم) فى مقعده ، وقال بهدوء :

ـ هذا يتوقّف على نوع السؤال يا مستر (چيمس) .

مال (چيمس) إلى الأمام ، وحدّق فى عينى (أدهم) مباشرة وهو يقول :

ـ من أنت حقيقة يا سنيور (أنزيو) ؟

ضحك (أدهم) ضحكة قصيرة ، وقال بهدوء :

ـ سؤال مضحك .. إننى (أنزيو سانشز) ، مهاجر مكسيكى إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، و ....

قاطعه (چيمس) بضحكة ساخرة وهو يقول :

ـ دعنا مما تدعيه يا سنيور (أنزيو) .. إننى أسألك عن اسمك وشخصيتك الحقيقيّين ..

قال (أدهم) بهدوء :

ـ (أنزيو سانشز) يا مستر (چيمس) .

ابتسم (چيمس) بهدوء ، وظهر الترقب والاهتمام على وجه (أندرو) ، وهو يستمع إلى زعيمه يقول :

ـ من العجيب إذن أن صورة (أنزيو سانشز) فى مكتب الهجرة لا تشبهك على الإطلاق ، فهو بدين [illegible] ..

ثم مال إلى الأمام وضاقت عيناه وهو يستطرد :

ـ لقد حاول رجلنا (ساندر) جمع أية معلومات عنك يا سنيور .. ومن العجيب أنه قابل (أنزيو)

الأصلى ، ولم يجد هناك من يعلم شيئًا عنك .. أنت رجل مجهول غامض يا سنيور .. وأنا رجل لا أحب الغموض .

نهض (أدهم) بهدوء ، وتبعته (منى) وهو يقول :

ـ شكرًا على هذا العشاء الفاخر يا مستر (چيمس) .. يؤسفنى أن أضطر للانصراف ، فقد اعتدت النوم مبكرًا .

خبط (چيمس) على المائدة بقوة ، وهو يقول بعصبية :

ـ لن تغادر هذا المكان قبل أن تخبرنى بكل ما أريد معرفته أيها الرجل .

عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، ونظر نحو (چيمس) بتحد ، وقال بسخرية :

ـ هكذا ؟.. ومن سيمنعنى إذن ؟

نهض (أندرو) وقال بتحد :

ـ هناك أكثر من ثلاثين رجلا مسلحًا حول القصر يا سنيور (أنزيو) .

ضحك (أدهم) ضحكة ساخرة أثارت دهشتهم ، ثم قال :

ـ أنت ضعيف للغاية فى علم الأحياء يا (أندرو) .. ألا تعلم أنه للقضاء على الأفعى السامّة لا يحتاج الأمر إلى تمزيقها إربا ، وإنما يكفى تحطيم الرأس فقط .

ضاقت عينا (چيمس) وهو يقول :

ـ ماذا تعنى أيها الرجل ؟

وفى لمح البصر كان (أدهم) قد انتزع مسدسه من جيب سترته السرّى ، وصوّبه نحو رأس (چيمس براند) وهو يقول بسخرية :

ـ هذا ما أعنيه بالضبط يا مستر (چيمس) .

* * *



وفى لمح البصر كان (أدهم) قد انتزع مسدسه من جيب سترته السرىّ ، وصوبه نحو رأس (جيمس) ..

٥ ـ صفقة شيطانية ..

شحب وجه (چيمس) و (أندرو) ، وتسمّر الخدم فى أماكنهم ، وقد تملكهم الارتباك ، فلم يجرؤ أحدهم على اتخاذ أية خطوة ، حتى قال (چيمس) بصوت لا يقل شحوبًا عن وجهه :

ـ هل تنوى قتلى يا سنيور (أنزيو) ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال بهدوء مشوب بالسخرية :

ـ ليست فكرة سيئة يا مستر (چيمس) ، ولكنها لم تخطر ببالى حتى اللحظة السابقة .

ثم أعاد مسدسه إلى سترته بهدوء وهو يقول :

ـ إنما أردت أن أثبت لك فشل وسائل الأمن المكثفة التى تحيط بها نفسك .. لقد كان مصرعك قاب قوسين أو أدنى يا مستر (چيمس) .

ظل (چيمس) صامتًا برهة يحدّق فى وجه (أدهم) بدهشة ، ثم انفجر ضاحكًا ، وأخذ يضرب قائم مقعده بمرح ، أثار دهشة خدمه و (أندرو) و (منى) ، على حين بقى (أدهم) صامتًا مبتسمًا إلى أن قال (چيمس) :

ـ رائع يا فتى !! رائع !! إنك تزيد من إعجابى بك فى كل لحظة .

تبادل الخدم نظرات الدهشة ، فى حين حدَّق (أندرو) فى وجه زعيمه بذهول ، وهتف :

ـ مستر (چيمس) .. هل تدرى ماذا تقول ؟

صاح به (چيمس) بغضب :

ـ اصمت أيها الأحمق ..

ثم هبّ واقفًا ، وعاد يضرب المائدة بقبضته صائحًا :

ـ ألم تفهم بعد ما حدث ؟.. ألم تلاحظ أن رجال الحراسة الذين أشرفت على اختيارهم بنفسك ، قد أهملوا تفتيش هذا الرجل .

شحب وجه (أندرو) وهو يلوّح بذراعه قائلاً :

ـــ لقد ظننت أنه ليس من اللياقة تفتيش الضيوف .

قهقه (جيمس) بعصبية ، وصاح :

ـــ اللياقة ؟.. منذ متى تحرص على أصول اللياقة يا (أندرو) ؟.. لو أن هذا الرجل انتحارى يقصد التخلُّص منّى ، لكنت الآن فى خبر كان .

قال (أدهم) بهدوء :

ـــ والآن .. هل تسمح لنا بالانصراف يا مستر (چيمس) ؟

التفت إليه (چيمس) بحدّة صائحًا :

ـــ لا .. ليس الآن يا سنيور .

ثم لانت ملامحه فجأة ، وهو يردف قائلاً :

ـــ ولكن بكامل إرادتك يا سنيور (أنزيو) .. أنت رجل يصعب التخلّى عنه بسهولة ، ولابدّ لى من التحدُّث إليك طويلاً .. وحدنا .. معذرة يا فاتنتى

الشقراء ، فعندى للسنيور (أنزيو) صفقة سيسيل لها لعابه بالتأكيد .

* * *

كانت غرفة مكتب (چيمس) فاخرة بكل ما فى الكلمة من معان ، وفوق مكتبه اصطفت مجموعة من شاشات الدوائر التليفزيونية المغلقة .. كان من الواضح أن (چيمس براند) رجل يشعر بالخوف والقلق الشديدين ؛ ولذا فهو يحيط نفسه بكل وسائل الأمن الممكنة .. هذا ما دار بذهن (أدهم) وهو يتأمل الغرفة إلى أن قال (چيمس) وهو ينفث دخان سيجاره الرابع فى هذا المساء :

ـــ سيسعدنى ونحن وحدنا يا سنيور (أنزيو) أن تمنحنى بعض الثقة ، وتخبرنى من أنت حقيقة .

تظاهر (أدهم) بالتململ ، ثم قال :

ـــ وما الذى يدفعنى إلى منحك هذه الثقة يا مستر (چيمس) ؟

رفع (چيمس) كفّه أمام وجهه ، وقال مبتسمًا :

ـــ لا شىء يا سنيور (أنزيو) .. لا ضمانات على الإطلاق .. إن الأمر مرجعه إليك وحدك .

تظاهر (أدهم) بالاستغراق فى التفكير لحظات ، وهو مطرق برأسه ، ثم واجه (چيمس) قائلاً :

ـــ حسنًا يا مستر (چيمس) .. إنك توحى بالثقة .

ثم اعتدل فى مقعده ، وقال ببطء وهدوء :

ـــ إننى لست مكسيكيًّا يا مستر (چيمس) ، بل أسبانى .. ثرى أسبانى يعشق المغامرة ، ويبحث عن الإثارة فى كل بقاع الأرض .

بدت الدهشة واضحة على وجه (چيمس) وهو يستمع إلى (أدهم) ، ثم زوى ما بين حاجبيه ، وسأله باهتمام :

ـــ أسبانى ؟.. وما اسمك الحقيقى ؟

قال (أدهم) ببساطة :

ـــ (ألبرتو صوفيو) .. اسم عادىّ غير مشهور .

ابتسم (چيمس) بخبث وهو يقول :

ـــ إجابتك هذه تثير حيرتى أكثر يا سنيور (أنزيو) .. ومعذرة يا سنيور (ألبرتو) .. فكيف يجيد أسبانى رياضة (الروديو) إلى هذا الحد ؟

ضحك (أدهم) ضحكة قصيرة ، وقال :

ـــ أهذا ما يثير دهشتكم إلى هذا الحد ؟.. إننى أجيد الفروسية تمامًا يا مستر (چيمس) ، ورياضة (الروديو) تحتاج إلى القوة والبأس أكثر مما تحتاج إلى المهارة .

ابتسم (چيمس) ، وقال :

ـــ إننى أشهد لك بهما يا سنيور (ألبرتو) .

ثم تحرك بضع خطوات ، ثم أطفأ سيجاره وهو يقول بهدوء :

ـــ ما دمت تبحث عن المغامرات والإثارة ، فما رأيك فيمن يوفرهما لك ، بالإضافة إلى ثلاثة ملايين من الدولارات فى العام ؟

أطلق (أدهم) من بين شفتيه صفيرًا طويلاً ، ثم قال :

ــ ثلاثة ملايين مبلغ ضخم يسيل له اللعاب بالفعل يا مستر (چيمس) ، ولكن .... ما طبيعة هذا العمل الفريد ؟

استدار (چيمس) مبتسمًا ، ورفع كأسه وكأنه يستعد للشرب فى نخب (دهم) ، وقال :

ــ الجاسوسية يا سنيور (ألبرتو) .. إنها أكثر مهن العالم إثارة وعائدًا ماديًا .

صمت (أدهم) لحظة ، وكأنه يستوعب معنى عبارة (چيمس) ، ثم قال ببطء :

ــ هذا العمل ينطوى على الخطر الشديد يا مستر (چيمس) ، ويحتاج إلى مهلة للتفكير .

قال (چيمس) بمرح :

ــ بالطبع يا سنيور (ألبرتو) .. بالطبع .. سأمنحك مهلة للتفكير حتى مساء الغد ، وإلى ذلك

الحين ، ستبقى فى ضيافتى أنت وصديقتك الشقراء الفاتنة .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وهو يقول :

ــ تقصد أننا سنبقى كأسرى أو سجناء يا مستر (چيمس) .

هزَّ (چيمس) رأسه نفيًا بهدوء ، وهو يقول :

ــ مطلقًا يا سنيور (ألبرتو) ، والدليل على ذلك أننى سأترك لك مسدسك .. هل يكفيك ذلك دليلاً على حسن نيّتى ؟

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وهو يقول :

ــ نعم .. بشكل ما يا مستر (چيمس) .

وما أن انصرف (أدهم) ليصحب (منى) إلى غرفتهما فى قصر (چيمس براند) ، حتى أسرع (أندرو) إلى زعيمه ، وسأله بدهشة :

ــ ما الذى تنوى فعله يا سيدى ؟.. لم يزل هذا الرجل موضع شك فى نفسى .

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتى (چيمس) ، وهو يقول :

ــ يا لك من غبىّ !! هل تصوّرت أننى من الممكن أن أتناول الأمور بمثل هذه السطحية ؟

ثم رفع سماعة الهاتف ، وطلب رقمًا طويلاً للغاية وهو يقول :

ــ هذه هى إحدى فوائد التقدُّم العلمى يا (أندرو) .. يمكنك الاتصال بالجانب الآخر من العالم فى لحظة واحدة .

وما أن جاءه صوت محدِّثه عبْر خطوط الهاتف ، حتى قال :

ــ مرحبا يا (ماريو) .. أنا (چيمس براند) .. نعم أعلم جيدًا ، كم هو وقت مبكر عندكم فى (مدريد) ، ولكننى أريد بعض المعلومات بغاية السرعة عن ثرى أسبانى يدعى (ألبرتو صوفيو) .. نعم كل ما يمكنك جمعه من المعلومات ، فسيتوقف الكثير على هذه المعلومات .

وضاقت عيناه بمكر وهو يقول :

ــ فإما أن يتحوّل السنيور (ألبرتو) بناء عليها إلى أهم رجالنا ، أو يكون القبر هو المكان الصالح له .

* * *



٦ ـ الاختبار الأول ..

رفع مدير المخابرات المصرية رأسه عن الأوراق التى يطالعها باهتمام ، وأسند ذقنه على قبضته وهو ينظر إلى المقدم (حازم) ، ثم أشار إليه بيده إشارة ذات معنى وهو يقول :

ـ حسنًا يا (حازم) .. ماذا تريد أن تخبرنى بالضبط ؟

ابتسم (حازم) ابتسامة الرجل الذى يعلم أهمية الخبر الذى يحمله ، وقال :

ـ لقد وصلتنا برقية من المخابرات الأسبانية يا سيّدى .

ظهر الاهتمام والجدّ على وجه مدير المخابرات ، وهو يقول :

ـ هلّم يا (حازم) ، أخبرنى بمحتوياتها .

قال (حازم) بهدوء :

ـ لقد بدأ (ماريو) فى إجراء تحرياته عن (ألبرتو صوفيو) ، وستضع المخابرات الأسبانية فى طريقه كل ما يهمنا إيصاله إلى (چيمس براند) .

ابتسم مدير المخابرات بارتياح ، وقال :

ـ عظيم .. هذا يعنى أن خطتنا تسير على النسق الذى قدرناه لها .. وما هى إلا أيام قلائل ويصبح (أدهم صبرى) هو الساعد الأيمن لـ (چيمس براند) .

قال (حازم) :

ـ نعم يا سيّدى .. ومن الطريف أن معاونته للمخابرات الأسبانية فى قضية دونا (ماريا) قد أثمرت هذه المرة[1] .

أومأ مدير المخابرات برأسه فى هدوء ، وقال :

ـ هذا صحيح يا (حازم) .. إن (أدهم) هذا

(١) راجع قصة (بريق الماس) .. المغامرة رقم (٧) .

يستحق عن جدارة لقب (رجل المستحيل) .

أشار (حازم) برأسه موافقًا ، ثم تردّد فى الحديث لحظة ظهر أثرها واضحًا على وجهه ، حتى أن مدير المخابرات سأله بابتسامة أبوية :

ـ حسنا .. قل ما تريد ولا تتردّد .

حرّك (حازم) كتفيه ، وقال :

ـ كنت أريد أن أسأل سؤالًا ، سبق أن عجزنا عن التوصل إلى إجابة مقنعة له أنا و (أدهم) من قبل .

اتسعت ابتسامة مدير المخابرات ، وهو يقول :

ـ وما هذا السؤال العسير ؟

سأله (حازم) بعد لحظة من التردد :

ـ لماذا تصرّ سيادتك على إرسال فتاة باستمرار مع (أدهم) فى كل مهمة ينطلق إليها ؟.. إن هذا غير مألوف فى عمل المخابرات .

أشار مدير المخابرات بسبابته ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ هذا هو السبب يا (حازم) .. إن هذا الأمر

غير مألوف فى عمل المخابرات ؛ ولذلك فمن نسعى خلفهم يتصوّرون باستمرار أن رجل المخابرات لن يصطحب فتاة تعوقه عن عمله ، وبهذا يصبح (أدهم) أقل عرضة للشبهات .

ثم عاد إلى أوراقه وكأنه ينهى المقابلة قائلاً :

ـ إن كل خطوة فى عمل المخابرات تم دراستها بدقة ، فلا تقلق أيها المقدم .

* * *

مالت (منى توفيق) على أذن (أدهم صبرى) ، وهما يجلسان وحدهما فى حديقة قصر (چيمس براند) ، وهمست بارتياح :

ـ من الواضح أن (چيمس) يثق بك تمامًا يا (أدهم) .. إنه لم يحاول تجريدك من مسدسك .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

ـ هُراء يا عزيزتى .. لم يسمح لى (چيمس) بالاحتفاظ بمسدسى ، إلّا لأنه واثق أن رصاصاته القليلة

لن تصمد أمام المدافع الرشاشة التى يحملها رجاله ، الذين يحيطون بكل شبر فى القصر .

سألته بدهشة وقلق :

ــ لماذا يسمح لنا بالتجوال بحرية إذن ؟

قال (أدهم) بسخرية :

ــ لأنه ينتظر نتائج تحرياته يا فتاتى ، ثم إنه يعلم أن هروبنا من قصره مستحيل تقريبًا .

ابتسمت بخبث وهى تقول :

ــ أراهنك أنك تستطيع ذلك .

ربَّت على كتفها ، وقال :

ــ عندما يحين الوقت المناسب يا (منى) ، ويحسن أن نتحدث بالإنجليزية فها هو ذا (چيمس) يقترب منا .

اقترب منهما (چيمس) ، مرتديًا حُلَّة ذات لون سماوى ، وقميصًا مفتوحًا ، وقرنفلة بيضاء فى عروة سترته كعادته ، وحيَّاهما ، ثم اتخذ مقعده بجوارهما قائلاً :



اقترب منهما (چيمس) ، مرتديًا حُلَّة ذات لون سماوى ..

ــ أرجو أن تكون إقامتكما فى قصرى ممتعة .. وخاصة لكِ يا أجمل شقراء وقعت عليها عيناى .

قال (أدهم) بصوت غاضب :

ــ دعْكَ من هذا الغزل السخيف يا مستر (چيمس) ، فهو لا يناسب سنوات عمرك الستين .

اغتصب (چيمس) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

ــ يحسن أن يتعوَّد لسانك مخاطبتى ببعض الاحترام ، ما دمت ستعمل تحت إمرتى يا سنيور (ألبرتو) .

قال (أدهم) ببرود :

ــ سأفعل عندما تكف عن مغازلة صديقتى .

قهقه (چيمس) ضاحكًا ، وقال :

ــ تبًا لكم أيها الاسبان ، إن دماء حوض البحر المتوسط الحارة تجرى فى عروقكم

ثم اعتدل فى مقعده ، وقال بجدِّية :

ــ لنترك صديقتك الحسناء تتمتع بجوِّ حديقتى ،

ولنذهب معًا إلى مكتبى ، فهناك بعض العمل ينتظرك هذا المساء .

* * *

جلس (أدهم) للمرة الثانية فى غرفة (چيمس) الأنيقة ، يستمع إليه وهو يقول :

ــ من حسن حظ كلينا أن تحرياتى قد طابقت أقوالك يا سنيور (ألبرتو) ، وسيكون من الممتع أن يعمل تحت إمرتى رجل مثلك .

كتم (أدهم) ضحكة ساخرة كادت تفلت من بين شفتيه ، وقال بهدوء :

ــ ما دمنا سنعمل معًا ، فمن الأفضل أن أخبرك أننى رجل أقدِّس الخصوصيات ، كما أننى أغط فى أثناء نومى ، وأحاول الاحتفاظ بهذا الأمر سرًا .

حدَّق (چيمس) فى وجهه بدهشة ، وقال :

ــ وماذا يعنى ذلك بحق الشيطان ؟

قال (أدهم) بهدوء أقرب إلى البرود :

ــ يعنى باختصــار ، أنـه بمجرد عودتى إلى غرفتى سأنتزع الميكروفون الصغير المثبت أسفل الفراش ، وذلك المختفى فى إطار النافذة ، كما سألصق قطعة من الجلد الأسود السميك فوق عدسة الكاميرا التليفزيونية المخفاة بمهارة وسط الثريا المعلقة فى السقف .

قهقه (جيمس) ضاحكًا بمرح ، وقال وهو يغمز بعينيه لـ (أدهم) :

ــ هأنتذا تثبت مرة أخرى مدى مهارتك يا سنيور (ألبرتو) .. أنت حقًّا الرجل الذى أحتاج إليه .

ثم أشعل سيجارًا ، وتابع بجدّية :

ــ على بعد ثلاثة كيلومترات من ميناء (براونزڤيل) على الحدود الأمريكية المكسيكية ، ووسط مياه خليج المكسيك ، يقف يخت يطلق عليه صاحبه اســم (جولدستار) ، وفـوق هـذا اليخت خزانة حديدية مزودة بالأرقام السرية ، ولها نظام إليكترونى معقد ، وبداخل هذه الخزانة مظروف أزرق اللون ، يحتوى على

تصميمات حديثة ، وضعتها إحدى الشركات المنافسة لمصانعى .

ونفث دخان سيجاره قبل أن يقول بهدوء :

ــ وأنا أريد تصوير هذه التصميمات الليلة ، دون أن يشعر أصحابها بما حدث .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

ــ هذا العمل يدخل تحت نطاق اللصوصية ، وليس الجاسوسية يا مستر (چيمس) .

ابتسم (چيمس) بخبث ، وقال :

ــ يمكنك اعتباره اختبارًا أو تجربة لمدى قدرتك على الوصــول إلى الأماكن الصعبة ، ومهـارتك فى فتــح الخزائن ، وتصوير المستندات .. هل تظن أنك قادر على أداء هذا العمل يا سنيور (ألبرتو) ؟

مط (أدهم) شفتيه ، وهزّ كتفيه وهو يقول :

ــ بالطبع .. ولكننى أحتاج إلى بعض المعلومات حول نظام الخزانة وأسلوب حراسة اليخت ، وماإلى ذلك .

قال (جيمس) بسرعة :

ــ سأعطيك كل المعلومات التى تريدها .

ثم استطرد بسرعة :

ــ لقد اشتريت ذمة أحد رجال الحراسة على سطح اليخت ، وحصلت منه على المعلومات اللازمة .

ضاقت عينا (أدهـم) ، وابتسم بسخريـة وهـو يقول :

ــ حسنًا يا مستر (جيمس) ، سأقوم بهذا العمل ، وستحصل على صور واضحة لهذه المستندات قبل منتصف الليل .

* * *

زوت (منى) ما بين حاجبيها ، وقالت بقلق :

ــ إنها مهمة فرعية ، وتنطوى على خطر بالغ يا (أدهم) .. ماذا لو أصابك سوء ؟

ضحك (أدهم) بسخريته اللاذعة ، وقال :

ــ عندما نعود إلى مصر سأطلب منهم إجبارك على

حضور دورة تدريبية إضافية أيتها النقيب ، فلقد اعتاد عقلك على الكسل .

التقى حاجباها وهى تزم شفتيها بغضب قائلة :

ــ ماذا تعنى بسخريتك هذه ؟

ازدادت ابتسامته سخرية ، وهو يقول :

ــ كان من المفروض أن تفهمى فى الحال ، أن هذا اليخت ملك لـ (چيمس براند) .

اتسعت عيناها دهشة ، وعجزت عن النطق وهى تحدّق فى وجه (أدهم) ، الذى استطرد ببساطة :

ــ إن هذا يبدو واضحًا يا عزيزتى ، فلو أن هذا اليخت ملك لشركة منـافسة ، واستطاع هو شراء ذمَّة أحد حراسها ، فلماذا يرسـل رجـلًا آخــر لتصــوير المستنـدات المطلوبة ، بكـل ما ينطوى عليه ذلك من خطر ؟ .. ألم يكـن من الأسهـل والأضمن أن يقــوم الحارس نفسه بالمطلوب ؟ خاصة وقد حصل على نظام الإنذار الإليكترونى الخاص بالخزانة ، وأرقامها السرية تقريبًا .

ثم أردف بلهجة ماكرة :

ـ إن هذه المهمة بمثابة اختبار لى يا عزيزتى .. اختبار ثقة وليس اختبار قدرات ، ولذلك فلابد من إتمامها بطريقة تبهر (چيمس براند) نفسه .

* * *



٧ ـ ليلة المفاجآت ..

أخذ حُرّاس اليخت (جولدستار) يتحركون بقلق فوق سطحه ، ويتطلّعون بين الحين والآخر إلى المياه التى غلفها الظلام ، إلى أن قال أحدهم بضجر :

ـ يبدو أن صاحبنا هذا قد جبن عن أداء مهمته .

لم يجبه سوى رجل أفطس الأنف ، قال :

ـ إن مستر (چيمس) يؤكد أنه سيحضر ، ويجب أن أتظاهر بمعاونته .

قال ثالث بحنق :

ـ لماذا أمرنا الزعيم بإطفاء أضواء اليخت .. لقد مللت هذا الظلام ؟

قال الرجل أفطس الأنف :

ـ لا تنسوا أنه من المفروض أننى أعمل لحساب مستر (چيمس) بحسب خطته ، ومن المفروض أيضًا

أن أقوم بتعطيل المولد الكهربى ، حتى يمكن للسنيور (ألبرتو) الصعود إلى اليخت ، وتصوير المستندات .

ضحك أحدهم بعصبية ، وقال :

ـ إن الزعيم لداهية حقاً .. لقد اصطنع مهمة معقدة ، حتى يمكنه اختبار المدعو (ألبرتو) هذا .

وفجأة أشار إليهم الرجل أفطس الأنف ، وهو يقول بصوت خافت :

ـ اصمتوا يا رفاق .. يخيل لى أننى أسمع صوت قارب بخارى يقترب .

أرهفوا السمع ، ثم قال أحدهم بسخرية :

ـ هذا صحيح .. يا للسخافة !! إن (ألبرتو) هذا يعمل بوسيلة لا تخدع حتى الأطفال .

مطّ أفطس الأنف شفتيه باحتقار ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح .. يا له من أحمق !!

توقّف صوت القارب البخارى ، فصاح أحد الرجال بسخرية :

ـ مرحى يا رفاق .. يبدو أنه سيحضر إلى هنا سباحة .

صاح به أفطس الأنف :

ـ صه يا رجل ، لا يعل صوتك ، فمن المفروض أننا لا نعلم شيئًا عن ذلك .

طال انتظارهم وهم يحدقون فى الظلام نحو الجهة التى توقف فيها الزورق البخارى ، وقد شملهم الصمت ، إلى أن قال أحدهم بحنق وبصوت خافت :

ـ ماذا يفعل هذا الرجل ؟.. لو أنه يزحف بسرعة السلحفاة لوصل إلى اليخت منذ ربع ساعة على الأقل .

قال أفطس الأنف بقلق :

ـ يبدو أنه يراجع حساباته .. من الواضح أن هذا الـ (ألبرتو) شديد التردّد يا رفاق .

وفجأة استدار أحدهم بحدّة ، قائلاً :

ـ أنصتوا .. يخيل إلىّ أننى قد سمعت صوت سقوط جسم ما فى الماء .

تبادلوا النظرات على ضوء القمر الخافت ، ثم قال أحدهم :

ــ عجبا ، إننى لم أسمع شيئًا على الإطلاق .

أيّده الآخرون فى قوله ، فقال الرجل الأول بإصرار :

ــ لا يمكننى أن أخطئ هذا الأمر .. لقد كان الصوت مكتومًا كصوت جسم ينزلق إلى الماء ، ولكننى سمعته بالتأكيد .

قطّب أفطس الأنف حاجبيه ، وقال بقلق :

ــ يا للشيطان !!.. هل من الممكن أن ؟..

ثم أسرع قبل أن يتم عبارته نحو الغرفة التى تحوى الخزانة ، وأسرع بفتحها ، ويلقى نظرة على المظروف الأزرق ، ثم تنهّد بارتياح ، وقال :

ــ أنت واهم يا صديقى .. إنه صوت أمواج الخليج الهادئة وهى ترتطم باليخت بلا شك .

وابتسم وهو يستطرد قائلاً :

ــ ثم إن تعليمات الزعيم للسنيور (ألبرتو) ، تؤكد

ضرورة مقابلته لى فى مؤخرة اليخت ، قبل أن يقوم بتصوير المستندات المزعومة .

وفى هذه اللحظة سمع الجميع صوت محركات الزورق البخارى وهى تعود للعمل ، فصاح أحدهم :

ــ يا للحماقة !! هل قرر القدوم إلى هنا بالزورق البخارى ؟

أنصت أفطس الأنف بإمعان ، ثم ابتسم قائلاً :

ــ إنه يبتعد يا زميلى .. من الواضح أن السنيور (ألبرتو) قد شعر بعجزه عن أداء مهمته ، وها هو ذا يبتعد ويجر أذيال الخيبة .

* * *

قطّب (چيمس) حاجبيه وهو يستمع إلى محدثه عبر جهاز لاسلكى صغير ، ثم تمتم بصوت خافت :

ــ عجبًا !! لم أتصور ذلك مطلقًا .

وأنهى الاتصال بحدة ، ثم سار فى الغرفة بقلق ، وأشعل سيجارًا نفث دخانه بعصبية ، حتى سأله (أندرو) بقلق :

ــ ماذا حدث يا سيّدى ؟.. هل فشل السيد (ألبرتو) فى مهمته ؟

لوّح (چيمس) بذراعه فى غضب ، وقال :

ــ لو أن ذلك ما حدث لوجدت له عذرا .. الأسوأ أن السنيور (ألبرتو) لم يقدم على أداء مهمته على الإطلاق .

ابتسم (أندرو) بخبث وشماتة ، وهو يقول :

ــ كنت أعلم أن (أندرو) هذا ما هو إلا برميل أجوف ، يصدر رنينًا عاليًا ، ولكنه فارغ .

صاح (چيمس) بعصبية :

ــ صه يا (أندرو) .. لا تتفوه بكلمة زائدة .

ثم غادر الغرفة ، وأغلق الباب خلفه بقوة ، وسار بخطوات واسعة وهو يتمتم ببعض عبارات ساخطة ، حتى وصل إلى ردهة القصر ، فتوقف لحظة ، وتنهّد بعمق محاولاً استعادة هدوئه ، ورسم على شفتيه ابتسامة هادئة ، ثم خطا إلى الردهة ، وقال بصوت مرتفع نجح فى صباغته بصبغة المرح :

ــ كيف حال فاتنتى الشقراء ؟

التفتت إليه (منى) ، وقالت بهدوء :

ــ من الأفضل أن أسألك أنا كيف حال (ألبرتو) يا مستر (چيمس) ؟

ارتجفت شفته السفلى على الرغم منه ، وهو يقول :

ــ لا تقلقى يا عزيزتى (كاترين) .. لا بد أنه فى طريقه إلى هنا .

ثم أردف متظاهرًا بالمرح :

ــ هل تعلمين كم تبدو إنجليزيتك طريفة ، وأنت تنطقينها بهذه اللكنة الفرنسية ؟

جاءه صوت (أدهم) هادئًا من خلفه يقول :

ــ إنها تعلم ذلك يا مستر (چيمس) .

تهللت أسارير (منى) ، والتفت (چيمس) بحدّة نحو (أدهم) ، وصاح :

ــ (ألبرتو) ؟.. كيف دخلت إلى هنا دون أن يخطرنى رجالى ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال وهو يجلس على مقعد وثير بهدوء :

ـ إننى لم أجد صعوبة فى ذلك ، فالسور المحيط بالقصر قصير من الناحية الشمالية ، ولقد قضيت اليوم السابق فى التقرب لكلاب الحراسة فى الحديقة ، حتى أن أحدها لم ينبح عند رؤيتى أتخطى السور إلى داخل القصر ، وما أن أصبحت فى الحديقة حتى سرت بهدوء إلى داخل القصر ، ومن يمر بى من الحرس يتصور أننى قد دخلت من البوابة الرئيسية بصورة عادية ، فلم يحاول أحدهم اعتراض طريقى .. هل رأيت كم هو قاصر جهاز الأمن المحيط بك ؟

اغتصب (چيمس) ضحكة عصبية ، وقال :

ـ دعنا من هذه المهاترات يا سنيور (ألبرتو) .. أخبرنى ماذا تم بشأن مهمتك ؟

قال (أدهم) بابتسامة ساخرة لاذعة :

ـ عجبا !.. ألم يخبرك رجالك على سطح اليخت بما حدث ؟

تظاهر (چيمس) بالدهشة ، وهو يقول :

ـ رجالى ؟.. إن هذا اليخت ملك لشركة منافسة ، و ....

قاطعه (أدهم) بضحكة ساخرة ، ثم قال :

ـ يبدو أنها شركة من المجانين يا مستر (چيمس) .. خبرنى بالله عليك : لماذا تحتفظ شركة ضخمة بمستنداتها السرية داخل خزانة على ظهر يخت فى خليج المكسيك ؟.. هل تصورت أننى لم أفهم كون الأمر مجرد خدعة لاختبارى ؟

ظل (چيمس) صامتا يحدّق فى وجه (أدهم) ، ثم ابتسم ، وقال بهدوء :

ـ ولقد جاءت نتائج الاختبار غير متوقعة يا سنيور (ألبرتو) .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

ـ بالطبع .. إن نتائج الاختبار ستكون بمثابة مفاجأة لك ولرجالك على سطح اليخت .

ثم قذف نحوه بآلة التصوير الصغيرة وهو يستطرد :

ـ لقد أسرعوا جميعا يتأمّلون الزورق البخارى ، وأهملوا تمامًا الجانب الآخر من اليخت ، حتى أنه كان بإمكان سفينة قراصنة كاملة الاقتراب منه واحتلاله ، وبخاصة أن الظلام كان يلفّه تمامًا تقريبًا .

قفز (چيمس) من مقعده ، وصاح بانفعال لم يستطع كتمانه :

ـ هل .. هل تعنى أنك قد صورت المستندات ؟

استرخى (أدهم) فى مقعده وهو يقول بهدوء :

ـ بالطبع .

انطلق (چيمس) يضحك بمرح طفولى ، ويضرب بكفه على فخذه ، حتى دخل (أندرو) إلى المكان ، وحدّق فى وجه (أدهم) بشماتة ، ثم سأل زعيمه بدهشة :

ـ ماذا حدث يا سيدى ؟

أشار (چيمس) إلى حيث يجلس (أدهم) ، وصاح :

ـ هذا هو البرميل الأجوف يا (أندرو) .. أليس كذلك ؟

ثم قفز من مقعده برشاقة لا تتناسب مع سنه ، وهو يتابع بحرارة :

ـ إنك أنت البرميل الأجوف يا (أندرو) ، أما السنيور (ألبرتو) فهو الرجل الصالح ، ليس فقط لأن يكون ساعدى الأيمن ، بل لتزعم الشبكة بأكملها بعد وفاتى .. إنه أمهر وأذكى رجل عرفته منذ مولدى يا (أندرو) .

امتقع وجه (أندرو) ، وفاض الحقد من نفسه ، فارتسم واضحًا على قسمات وجهه ، وهو يحدّق فى وجه (أدهم) ، الذى أرخى جفنيه بشكل متكاسل ، وعقد ساعديه ، وارتسمت على فمه ابتسامة نصر ساخرة ، على حين ظهرت السعادة فى أجلى صورها على وجه (منى) ، أما (چيمس) فخبط على كتف (أدهم) ، وقال بمرح شديد :

— كم من الوقت تحتاج لإجادة قراءة اللافتات المكتوبة باللغة العربية يا سنيور (ألبرتو) ؟

نظرت إليه (منى) بدهشة ، وقد ألجمتها المفاجأة ، فى حين ابتسم (أدهم) بهدوء ، وقال :

— اللغة العربية من اللغات الصعبة يا مستر (جيمس) ، والتحدث بها من أصعب الأمور ، ولكن قراءتها فقط ممكنة فى خلال أسبوعين تقريبًا .

أومأ (جيمس) برأسه إعجابًا ، وقال بهدوء :

— أسبوعان مدة مناسبة .. فى هذه الحالة أريد منك أن تستعد لأولى مهامك الحقيقية والفعالة .

ثم اعتدل وبرقت عيناه ، وهو يقول ببطء وقوة :

— ستتطلب منك هذه المهمة استخدام كل مهاراتك ، فسيكون عليك تحدّى المخابرات المصرية بأكملها .

* * *

٨ — زائر فوق العادة ..

هزّت (منى) رأسها بعنف ، وكأنها تحاول الاستيقاظ من حلم وهمىّ ، ثم سألت (أدهم) :

— هل لك أن تكرر على مسامعى ما أخبرك به (جيمس) يا (أدهم) ؟

حرك كتفيه ، واسترخى فى مقعده ، وقال :

— أنت محقة فى دهشتك يا (منى) .. أنا أيضًا أشعر بدهشة عارمة .

ثم لوّح بذراعيه ، وبدأ يقول :

— رجال المخابرات المصرية وحدهم يعلمون أن مبنى المخابرات القائم فى حدائق القبة ، ما هو إلّا مبنى خداعى ، وأن الإدارة الفعلية للمخابرات المصرية تقع داخل مبنى قديم من المستحيل أن يثير الشبهات .

وهزّ رأسه فى حيرة وهو يستطرد :

— ولكن هذا الوغد بوسيلة ما توصل إلى أن الملفات التى تحتوى على أسماء جميع عملائنا فى خارج مصر ، وعناوين مكاتبنا فى كل أنحاء العالم موجودة داخل خزانة مزوّدة بالأقفال الإليكترونية ، والأرقام السرية ، داخل المبنى الخداعى ، والأعجب أنه يعلم أرقام فتح الخزانة السريّة .

وانطلقت من بين شفتيه ضحكة ساخرة على الرغم منه ، وهو يتابع بسخط :

— وهو يطلب منى أنا أن أتسلل إلى داخل مبنى المخابرات فى حدائق القبة ، برغم الحراسة المكثّفة حوله ، وأقوم بفتح الخزانة السرية ، وتصوير الملفات ، ومغادرة المكان دون أن يشعر أحد بما حدث .. تمامًا مثل المهمة الاختبارية أمس .

رفعت (منى) كتفيها ، ثم عادت ترخيهما قائلة :

— ولكن لماذا يحتاج إلى هذه الملفات ؟

نظر إليها (أدهم) ، ثم هزّ رأسه ، وقال :

— من العجيب أن يخرج هذا السؤال من فم فتاة مخابرات مصرية .. إن أيًا من أعدائنا مستعد لدفع نصف عمره مقابل معرفة هذه المعلومات .

ثم نهض من مقعده ، وسار نحو النافذة ، يتأمل الحديقة من خلالها ، ويقول :

— ولقد أعد (جيمس) الخطة بكل إتقان ، فسيمنحنى بطاقة مزيّفة من بطاقات المخابرات المصرية ، وسيقوم بتدريبى على اللغة العربية و ...

بتر (أدهم) عبارته فجأة ، ومال برأسه يدقق النظر فى بقعة محددة من الحديقة ، فنهضت (منى) بدورها ، واقتربت منه تسأله بفضول :

— ما الذى أثار انتباهك إلى هذا الحد ؟

أشار (أدهم) بطرف خفىّ نحو رجل نحيل طويل ، مائل الأنف ، نحيل الوجه ، له حاجبان رفيعان ، وعينان ضيقتان ، يسير بجوار (جيمس) ، وقد أحاط بهما عدد من الحرس المسلحين .

تأملت (منى) الرجـــل ، وسألت (أدهـــم) بدهشة :

ــ من هذا الرجل يا ترى ؟

ضاقت عينا (أدهم) ، وهو يرقب الرجل بعين فاحصة ، وقال :

ــ الحفاوة التى يحيطه بها (چيمس) تؤكد أنه زائر فوق العادة ، ولكن ما يثير انتباهى هو ذلك الأنف المائل .

زوت (منى) ما بين حاجبيها ، وقالت :

ــ هل تعتقد ؟

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال بهدوء :

ــ نعم يا (منى) .. إنه واحد من أفراد المخابرات المعادية .. يبدو أن الضباب سيتكاثف هذا المساء .

* * *

قاد (چيمس) ضيفه إلى غرفة مكتبه الفاخرة ، وأشار إليه بالجلوس وهو يقول :

ــ لقد أعددنا كل شىء تقريبا يا مستر (ليڤى) ، وسأسلمكم صور المستندات بعد أسبوعين على الأكثر .

حرّك (ليڤى) رأسه بهدوء ، وقال :

ــ عظيم يا مستر (چيمس) .. إن دولتى مستعدة لدفع عشرة ملايين دولار مقابل هذه الصور .

تهللت أسارير (چيمس) ، وقال :

ــ عظيم .. عظيم يا مستر (ليڤـى) .. لقـــد ساعدنى حسن الحظ على الفوز بهذه الصفقة .. هل تتصوَّر أننى وقعت على رجل بمثابة فرقة كومانـــدز كاملة ؟

ازدادت عينا (ليڤى) ضيقاً ، وزوى ما بين حاجبيه وهو يقول بقلق :

ــ رجل بمثابة فرقة كاملة ؟.. صف لى هذا الرجل يا مستر (چيمس) .

قصّ عليه (چيمس) كل ما كان من أمر (أدهم) بالتفصيل ، وما أن انتهى حتى ضم (ليڤى) أصابع

كفيه أمام وجهه ، وقال ببطء وتركيز :

ــ إنك تثير حيرتى يا مستر (چيمس) .. حيرتى وشكوكى ، فباستثناء أبطال الأساطير والأفلام الخيالية ، يوجد على سطح الأرض رجل واحد يمتلك هذه القدرات الخرافية ، رجل لن يريحنى تدخله فى هذا الأمر .

ثم تناول حقيبته الديبلوماسية الصغيرة ، ووضعها على ركبتيه وفتحها ، وأخذ يعبث بمحتوياتها إلى أن أخرج صورة وضعها أمام وجه (چيمس) وهو يقول :

ــ هل هذا هو (ألبرتو) الذى تتحدث عنه يا مستر (چيمس) ؟

التقط (چيمس) الصورة يتفحصها بعناية ، وتمتم قائلاً :

ــ إنه لا يشبهه ، ولكن ....

اعتدل (ليڤى) ، وسأله باهتمام :

ــ ولكن ماذا يا مستر (چيمس) ؟

ظهر التردد لحظة على وجه (چيمس) ، ثم قال وهو يهز كتفيه :

ــ أعتقد لو أننا أضفنا إلى هذه الصورة شاربًا كثيفًا ، وبدَّلنا تلك العيون السوداء بعيون خضراء ، زرعية اللون ، وصففنا هذا الشعر إلى الوراء .. ربما .

ازداد اهتمام (ليڤى)، وهو يقول بانفعال :

ــ ربما ماذا ، يا مستر (چيمس) ؟

كانت الإجابة واضحة على ملامح (چيمس) ، وهو يعاود التأمُّل فى الصورة فى شك ، فاعتدل (ليڤى) وقال منفعلاً :

ــ إن هذه الصورة التى تمسكها بأصابعك صورة أخطر ضابط مخابرات فى العالم أجمع يا مستر (چيمس) .. الرجل الوحيد الذى نجح فى إرباك مخابراتنا ، وهزيمة أقوى رجالنا .. الرجل الوحيد الذى حطَّم أنف منظمـــة (سكورپيون) مرتين[١] ، وهزم عصابات (المافيا) شر هزيمة[٢] .

(١) راجع قصة (أرض الأهوال) وقصة (انتقام العقرب) .. المغامرتان (١٣) و (١٧) .

(٢) راجع قصص (قناع الخطر) ، و (قتال الذئاب) ، و (حلفاء الشر) ، و (الخدعة الأخيرة) .. المغامرات أرقام (٣) و (٦) و (١٢) و (١٦) .

اتسعت عينا (چيمس) دهشة ، وعاد يتطلع إلى الصورة ، ثم قال :

ـ إلى هذا الحد ؟.. إنك تبدو وكأنك تتحدث عن شيطان مريد ، أو مغامر أسطورى يفوق (هرقل) .

قال (ليڤى) بهدوء :

ـ لن يتهمنى أحد بالمبالغة إذا ما قلت ذلك يا مستر (چيمس) .. إن هذا الرجل شيطان بحق .. شيطان يدعى (أدهم صبرى) .

* * *



٩ ـ كشف الأقنعة ..

اجتمع (أدهم) و (منى) مع (چيمس) و (أندرو) فى قاعة الطعام ، وبدا (چيمس) فى تلك الليلة مرحا بصورة مبالغ فيها ، حتى أن (منى) مالت على أذن (أدهم) ، وهمست بقلق :

ـ إننى أشعر بقلق مبهم هذه الليلة ، وكأن شيئًا ما على وشك الحدوث .

قال (أدهم) بصوت خافت وهو يتأمل رجال (چيمس) ، الذين تناثروا فى القاعة بعكس المألوف :

ـ إننى أشاركك هذا الشعور يا عزيزتى .. أخشى أن يكون مستر (ليڤى) ، قد أضاف شيئًا ما إلى معلومات (چيمس) .

وبهدوء شديد ودون أن تنم ملامحه عما يجيش به صدره ، دس (أدهم) مسدسه فى فراغ المائدة ، فى نفس

اللحظة التى ارتفع فيها صوت (چيمس) المرح قائلاً :

ـ لماذا تهامسان يا ضيفىّ العزيزين ؟.. لا توجد أسرار هنا وسط عائلة (چيمس براند) .

ابتسم (أدهم) بهدوء ، وقال :

ـ إننا نتساءل عن سر مرحك الزائد يا مستر (چيمس) .

نظر (چيمس) نحو (أندرو) الذى أخفى وجهه بكفه ، ثم ابتسم ابتسامة خبيثة وهو يقول :

ـ إننى سعيد بانضمامك إلى شبكتى الخاصة ، يا سنيور (ألبرتو) .

ثم أخرج من جيب سترته ساعة ذهبية ، واقترب من (أدهم) وهو يقول :

ـ ولقد أعددت لك هدية بهذه المناسبة .. ساعة ذهبية تحمل الحروف الأولى من اسمك (ا . ص) .. الحروف المعبرة عن (ألبرتو صوفيو) ..

وبسرعة البرق مدّ يده ، وانتزع الشارب المستعار



وبسرعة البرق مدّ يده ، وانتزع الشارب المستعار ..

من تحت أنف (أدهم) ، فى نفس اللحظة التى شهر فيها رجاله مسدساتهم ، وهو يقول بشراسة :

ــ أو حروف اسم (أدهم صبرى) ، يا ضابط المخابرات المصرى .

* * *

ارتعد جسد (منى) ، وشحب وجهها بشدة ، على حين أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة عالية النبرات ، ثم نهض بهدوء ، وصفق بكفيه فى إطار تهكمى قائلاً :

ــ أداء ممتاز يا ملك الأوغاد .. سأوصى بمنحك جائزة أوسكار القادمة .

جلس (چيمس) على مقعد مجاور لـ (أدهم) ، ووضع سيجاره فى فمه ، فأسرع أحد رجاله يشعله ، ونفث هو دخانه فى وجه (أدهم) ، ثم قال :

ــ لقد تخلّى عنك الحظ هذه المرة يا مستر (أدهم) .. هل كنت تظن أنه من السهل خداع (چيمس براند) ؟

رفع (أدهم) سبابته أمام وجهه ، وقال :

ــ فلتكن منصفًا ، وتعترف بأننى قد خدعتك فعلًا يا مستر (چيمس) .

ظهر الغضب عارمًا على وجه (چيمس) ، وهو يضرب المائدة بقبضته صائحًا :

ــ لم يولد بعد من يخدع (چيمس براند) أيها المصرى .

ثم أشار إلى أحد رجاله بغضب صائحًا :

ــ فتش ضابط المخابرات المصرى المغرور هذا ، واستول على مسدسه .

رفع (أدهم) ذراعيه مستسلمًا للتفتيش ببساطة ، وقال بهدوء :

ــ يؤسفنى أنه لن يجد المسدس ، فقد تركته فى حجرتى .

انتصب الرجل ، وقال مؤيدًا :

ــ هذا صحيح أيها الزعيم .. إنه لا يحمل أية أسلحة .

نهض (چيمس) وأخذ يسير فى القاعة عاقدًا كفيه خلف ظهره ، ثم التفت إلى (أدهم) و (منى) ، وقال بسخرية :

ــ أنت إذن من يسمونك الشيطان المصرى .. يا لسخافتهم !! إننى أراك رجلاً عاديًا ، يمكننى قتله ، وإلقاء جثته فى خليج المكسيك .

ضاقت عينا (أدهم) ، وهو يقول :

ــ كما فعلت مع (عصام) .. أليس كذلك ؟

ابتسم (چيمس) بشراسة ، وقال :

ــ هل تقصد ضابط المخابرات الآخر ؟.. لقد دس أنفه فيما لا يعنيه ، فكان لابدّ من إعطاء مخابراتكم درسًا لا تنساه .

ثم ظهرت على ملامحه علامات السخرية ، وهو يقول :

ــ يقولون إنك خبير فى التخلّص من المآزق يا مستر (أدهم) .. أخبرنى الآن كيف يمكنك الخروج من هذا المأزق ، ورجالى يصوّبون مسدساتهم

نحوك ، من كل مكان بالقاعة ؟

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

ــ يبدو أنك تلميذ خائب يا مستر (چيمس) .. من الواضح أنك لا تستوعب الدروس بسرعة .. هل تذكر حديثنا السابق عن قتل الأفعى ؟

حدّق (چيمس) فى وجهه بدهشة ، على حين قطّب (أندرو) حاجبيه بتساؤل .. ومضت فترة من الصمت ابتسم بعدها (چيمس) ، وقال بصوت خرج من بين شفتيه متحشرجًا من شدة انفعاله :

ــ اسمع يا ضابط المخابرات المصرى .. إذا كنت تتصور إرباكى بمثل هذا البرود فأنت واهم .. لقد قال الأقدمون : إن الجراء الصغيرة تصنع من الضوضاء أضعاف ما يصنعه كلب متوحش .

أرخى (أدهم) ذراعيه إلى جانبه ، وقال بهدوء مثير للقلق :

ــ يبدو أنك تحتاج إلى درس جديد ، ينزع هذا

الغرور من رأسك يا ملك الأوغاد .

صاح (جيمس) بغضب عارم ، وهـــو يشير نحو (أدهم) بيد أرجفها الغضب :

ـــ احترس عندما تتحدث مع (جيمس براند) أيها الرجل ، وإلاّ جعلت أسماك القرش تأنف من التهام بقايا جثتك .

وفجأة وقبل أن ينتبـــه أحدهـــم إلى ما يحدث ، وبسرعة الاستجابة الفائقة التى تميز (أدهم صبرى) عن باقى أصحاب مهنته ، التقط المسدس الذى أخفاه فى تجويف المائدة ، وقفز قفزة مذهلة ، عبر بها المائدة التى يبلغ عرضها مترين ، واستقر على الجانب الآخر منها خلف (جيمس براند) تمامًا .. وقبل أن يصـــوِّب الرجال مسدساتهم إلى حيث هبط (أدهم) ، وقبل حتى أن تنطلق شهقة دهشة من حنجرة (منى) ، كان قد أحاط عنق (جيمس) بذراع من فولاذ ، وألصق

فوَّهة مسدسه برأسه ، قائلاً بسخرية :

ـــ هل رأيت لم يسمُّوننى بالشيطان المصرى .. يا ملك الأوغاد ؟

* * *



١٠ ـــ هزيمة الشيطان ..

تسمَّر رجال (جيمس براند) فى أماكنهم ، وتردَّدت أصابعهم التى تلامس زناد مسدساتهم ، وكان (أندرو) أول من نطق ، فقال :

ـــ لن يفيدك هذا الأسلوب الانتحارى يا مستر (أدهم) ، إن مهارة رجالنا فى التصويب تمكنهم من إصابتك فى مقتل ، دون أن يَمَسُّوا مستر (جيمس) ،

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

ـــ دعهم يحاولون إذن أيها الوغد .. إذا كانت لديهم الجرأة .

ثم قال بصـــوت حـــازم ، موجهًـــا حديثـــه إلى (جيمس) :

ـــ مُرْ رجالك بإلقاء أسلحتهم يا ملك الأوغاد ، وإلاّ صنعت من رأسك مصفاة لا تصلح حتى لمطبخ حقير .

ارتعد جسد (جيمس) من شدة غضبه وحنقه ، وقال من بين أسنانه :

ـــ يبدو أنك لم تحسن دراسة شخصية (جيمس براند) أيها الشيطان المصرى .. إذا كنت ترفض الهزيمة قيراطًا ، فأنا أرفضها بما يساوى عشرة أفدنة .. إننى أفضل أن تأكلنى أسماك القرش قطعة قطعة من أن يهزمنى رجل مثلك .

ثم صاح برجاله فى لهجة آمرة يملؤها الغضب العارم :

ـــ حتى هذا الشيطان له نقطة ضعفه أيها الرجال .. إذا لم يلق مسدسه ويستسلم خلال عشر ثوان ، أطلقوا النار على زميلته .. مزقوها إربا ، حتى ولو أدّى الأمر إلى مصرعى شخصيًا .

انكمشت (منى) بذعر عندما توجَّهت فوَّهات المسدسات نحوها بطاعة عمياء ، فى حين انطلـــقت ضحكة أقـــرب إلى الجنون من فـــم (جيمس) وهـــو يقول :

— اقتلنى الآن أيها الشيطان المصرى ، فأنا لا أبالى .

شعر (أدهم) بغريزته أن (چيه ن براند) يعنى حقًا ما قاله ، وأنه من النوع المصاب بجنون العظمة ، إلى الدرجة التى يفضل معها الموت على الهزيمة ، ووقع فى حيرة بالغة .. كان استسلامه يعنى مصرعه ، ونهاية لا يعلمها إلا الله لزميلته (منى) ، ورفضه يعنى أيضًا نهاية (منى) ، وارتفاع احتمال مصرعه وفشل المهمة .. كان الاختيار معقدًا ، ولم يكن أمام (أدهم) إلا أن يجد اختيارًا ثالثًا .. وهذا ما كان .

وفجأة .. وبشكل غير متوقع ، دفع (أدهم) (چيمس) بعيدًا ، وأطلق النار على أبعد الرجال عنه ، ثم قفز فى الهواء ، وأطلق رصاصة أخرى ، صرعت رجلاً آخر ، واستقر على قدميه وسط أربعة رجال ، فركل مسدس أحدهم ، وصوَّب لكمة بيساره إلى الثانى هشمت فكه ، ثم دار على أطراف أصابعه ، ولكم

الثالث بمقبض مسدسه ، وأطلق رصاصة محكمة أصابت رجلاً بعيدًا فى مقتل ..

كانوا أكثر من عشرين رجلاً ، وكانت فرصة (أدهم) معدومة تقريبًا فى النصر ، وحاولت (منى) معاونته بأن ركلت مسدس أقرب الرجال إليها ، ثم هوت براحة يدها على مؤخرة عنق رجل آخر ، فأفقدته الوعى ، ولكنها عجزت عن مقاومة رجلين أمسكا بمعصميها ، وشلا حركتها تمامًا ، فصرخت تستنجد بـ (أدهم) ..

أدار (أدهم) رأسه بحدة نحو (منى) فور سماعه لصرختها اليائسة ، وفى نفس اللحظة تلقى ضربة قوية من مقبض مسدس أحد الرجال على مؤخرة عنقه ...

شعر (أدهم) بالدماء تندفع فى عينيه مغشية بصره ، وشعر بجسده يترنح كالسكران من شدة اللطمة ، ولكنه جمع إرادته الفولاذية ، وقفز محاولاً تخطى المائدة للدفاع عن (منى) ، ولكن ... للجسد

البشرى قدراته ، حتى ولو كان جسد (أدهم صبرى) ، فلقد ارتطمت ساقه بالمائدة ، فسقط على وجهه فوقها ، وعندما رفع رأسه محاولاً مواصلة القتال ، تلقى لكمة قوية فوق رأسه ، شعر بعدها بالظلام يكتنفه ، ثم غاب عن الوعى تمامًا ..

* * *

فرَّت الدماء من وجه (منى) ، حتى بدا شاحبًا كالشمع عندما شاهدت ما أصاب (أدهم) .. كانت هذه هى المرة الأولى التى تراه فيها فاقد الوعى وسط أعدائه ، وكل منهم يتمنى مصرعه ، وعلى الرغم منها انفجرت من عينيها الدموع ، وتشنج جسدها من شدة البكاء ، وهى تهتف باسمه فى حنان وجزع ، أما (چيمس) فقد أطلق ضحكة انتصار عالية مجلجلة ، وصاح بجزل :

— لقد هزمناه يا رجال .. هزمنا الشيطان المصرى الذى دوَّخ دولاً بأكملها .

ثم أمسك بكأس من الخمر رفعه عاليًا وهو يصيح :

— مائة ألف دولار لمن أفقده الوعى منكم يا رجال .. ولنشرب جميعًا نخب هذا الانتصار .

شهقت (منى) بالبكاء ، وارتفع نحيبها ، وهى تتأمل (أدهم) الفاقد الوعى فوق المائدة ، وهؤلاء الأوغاد يشربون نخب هزيمته .. وهنا قال (أندرو) :

— هل أطلق النار على رأسه أيها الزعيم ؟

مسح (چيمس) بمنديله الحريرى الخمر الملتصق بشفتيه ، وقال :

— ليس هكذا يموت رجل مثل هذا الشيطان يا (أندرو) .. لابدَّ له من أن يشهد هزيمته بعينيه قبل أن يلقى مصرعه .

ثم اقترب من (منى) ، وأمسك بذقنها يرفع وجهها المبتل بالدموع نحوه ، وهو يقول :

— لعلك تعلمين أن خليج المكسيك يموج بأسماك القرش أيتها الفاتنة الشقراء .. وسيكون زميلك عشاءهم هذه الليلة .

أبعدت (منى) وجهها بعنف وهى تغلق عينيها ألمًا ، فقهقه ضاحكًا ، وقال :

ــ أوثقوه بالحبال يا رجال ، واربطوا فى قدميه حجرًا ثقيلاً ، ثم اسبقونى به إلى اليخت .. سنقيم حفل عشاء لأسماك القرش .

وعاد يقهقه ضاحكًا بجذل وهو يتناول سماعة الهاتف ، ويطلب رقمًا معينًا ، وما أن جاءه صوت محدثه حتى قال :

ــ سعدت مساءً يا مستر (ليفى) .. هل تعلم أين هو شيطانك المصرى فى هذه اللحظة ؟.. إنه فاقد الوعى ، مقيد بالحبال أمامى تمامًا .

قفز (ليفى) من مقعده ، وبدأ صوته مفعمًا بالانفعال وهو يصيح :

ــ أطلق النار على رأسه فى الحال بحق الشيطان .. هلم يا مستر (چيمس) قبل أن تندم على تركه حيًا .

ضحك (چيمس) بسخرية ، وقال :

ــ مالك ترتجف هكذا من رجل مقيد فاقد الوعى ؟.. اطمئن يا مستر (ليفى) ، سأقتل (أدهم صبرى) ، ولكن بالطريقة التى تحلو لى .

صاح (ليفى) بحنق :

ــ ستندم يا مستر (چيمس) .. أعنى أننى أخشى ذلك .

قال (چيمس) ببرود :

ــ إن (چيمس براند) لا يندم أبدًا يا مستر (ليفى) .

ثم وضع سماعة الهاتف بقوة ، والتفت إلى رجاله بعظمة قائلاً :

ــ هيًا يا رجال .. أعدوا عشاء أسماك القرش .

* * *

١١ ــ خليج الدماء ..

تبخر الضباب من عقل (أدهم) تدريجيًا ، وشعر بصداع شديد يرج رأسه ، وبثقل فى جفنيه ، وأصابته الدهشة وهلة من كونه على قيد الحياة ، ولكنه احتفظ بعينيه مغلقتين ، حتى بدأ عقله يصفو تمامًا ، وسمع عدة أصوات متداخلة ، ميَّز منها صوت (چيمس) ، وصوت أمواج تصطدم بجدار صلب ، وتوصّل عقله باستنتاج بسيط ، إلى أنه على سطح اليخت الذى يملكه (چيمس براند) ، ففتح عينيه بهدوء ، وما أن طالعه وجه (چيمس) حتى ابتسم بسخرية ، وتمتم بصوت ينبض بالتهكم :

ــ يا للهول !! أهكذا تبدو شياطين الجحيم السفلى ؟

ضغط (چيمس) على أسنانه ، وقال :

ــ اسخر ما شئت أيها المصرى .. سنرى كيف تبدو عندما نلقى بك لأسماك القرش المفترسة .

ضحك (أدهم) ضحكة قصيرة ، وقال بهدوء :

ــ اطمئن يا مستر (چيمس) ، ستكون ضحكتى الساخرة آخر ما تسمعه .

وهنا خرج من صدر (منى) ــ التى تقف قريبة منهما ــ هتاف حار ، هتفت فيه باسم (أدهم) ، فالتفت إليها بحنان ، وقال :

ــ هل أصابك هؤلاء الأوغاد بأدنى سوء يا عزيزتى ؟

هزّت رأسها نفيًا وهى تغالب دموعها قائلة :

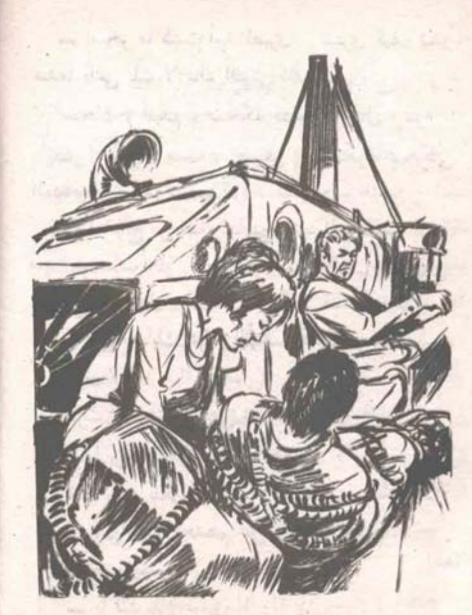
ــ ليس حتى الآن يا (أدهم) .

أدار رأسه ينظر فى عينى (چيمس) بتحدٍّ قائلاً :

ــ ولن يجرؤ أحدهم على ذلك يا عزيزتى .

صاح (چيمس) بحنق :

ــ يا لك من صفيق !!



صـاح (جيمس) بحنق :
ـــ يا لك من صـفيق !!

ثم جلس على مقعد من القماش ، وأشعل سيجارًا فى محاولة لاستعادة هدوئه ، وقال :

ـــ يبدو أنك لا تقدِّر موقفك جيدًا يا مستـر (أدهم) .. إنك هنا على سطح يختى المعروف باسم (جولدستار) .. نفس اليخت الذى اقتحمته من قبل ، وأنت الآن مقيَّد بالحبال ومربوط إلى حجر وزنه مائة كيلوجرام ، وحولك عشرة رجال يرغبون فى تمزيقك إربًا .

ضحك (أدهم) بسخرية تعبر عن عدم مبالاته بما يسمع ، فاستطرد (چيمس) قائلاً :

ـــ وهذا الخليج مملوء بأسماك القرش .. هل تعلم ما الذى يجذب أسماك القرش ؟

قال (أدهم) بتهكم :

ـــ إنها دماء وغد مثلك .

عض (چيمس) على شفتيه ، وتجاوز عن الإهانات وهو يتابع بهدوء :

ـــ الدماء هى التى تجذب أسماك القرش أيها المصرى ،

فلديها حاسة تمكنها من شم رائحة الدماء على بعد عشرة كيلومترات ، ولو بلغت نسبتها واحدًا من ألف .

ثم نهض وتناول من أحد رجاله قطعة من اللحم ملوثة بالدماء ، تم إعدادها مسبقًا ، وقال وهو يتقدم بها نحو حافة اليخت :

ـــ وها نحن أولاء نعمل على جذب أسماك القرش .

وألقى قطعة اللحم فى مياه الخليج ، التى تلوَّث سطحها بالدماء ، فارتسمت ابتسامة شرسة على وجه (چيمس) ، وقال :

ـــ أتفضل إلقاء نفسك ؟ أم آمر رجـالى بإلقـائك يا مستر (أدهم) ؟

هز (أدهم) كتفيه ، وقال ببساطة :

ـــ سأحتاج إلى معاونة رجالك بالطبع يا مستر (چيمس) ، فلن أستطيع حمل هذا الحجر الذى يزن مائة كيلوجرام .. ولكن هل تسمح لى بأن أهمس فى أذن زميلتى بجملة واحدة ؟

قهقه (چيمس) ضاحكًا ، وقال :

ـــ جملة الوداع !.. نعم إننى أسمح لك .

اقتربت (منى) ، وقد امتلأت عيناها بالدموع من (أدهم) ، وظنت هنيهة عندما مال على أذنها أنه سيهمس لها بعبارة وداع تعبر عن عواطفه نحوها ، ولكنها فوجئت به يهمس بسخرية لم تفهم لها مبررًا :

ـــ هل قرأت شيئًا عن (هودينى) يا عزيزتى ؟

أبعدت رأسها وهى تحدِّق فى وجهه بذهول متمتمة :

ـــ (هودينى) ؟

ولكن (أدهم) أسرع يرفع صوته ، وكأنه يمنعها من ترديد ما قاله ، وصاح :

ـــ هلم يا ملك الأوغاد .. لقد سئمت وجوهكم الغبية ، وأعتقد أننى أفضل سمك القرش .

صاح (چيمس) بعصبية :

ـــ هيا يا رجال ، خلِّصونى من ذلك المغرور .

أسرع رجـال (چيـمس) يحملـون (أدهـم) ،

وتعاون اثنان منهما لحمل الحجر الثقيل ، على حين أمسك أحدهم بـ (منى) ، التى همَّت بإلقاء نفسها عليهم وهى تنتحب ، وقال (أدهم) بهدوء وهو معلق على حافة اليخت :

ـــ سؤال أخير يا ملك الأوغاد .. متى تأوى إلى فراشك هذه الليلة ؟

نظر (چيمس) إلى حيث تقف (منى) ، وقال بخبث :

ـــ بعد منتصف الليل بكثير أيها المصرى .. وداعًا .

وبحركة حادّة ألقى رجال (چيمس) بجسد (أدهم) والحجر الضخم فى أعماق مياه خليج المكسيك ، وبرّ (أدهم) بوعده ، فكان آخر ما سمعه (چيمس) هو ضحكة ساخرة عالية ، خرجت من فم (أدهم) قبل أن يغوص فى الماء ..

صرخت (منى) صرخة جمعت لوعتها وجزعها ، ثم غطّت وجهها بكفيها ، وهى تبكى بعنف ، فابتسم

(چيمس) ، وقال وهو ينفث دخان سيجاره بهدوء :

ـــ اطلبى له الرحمة أيتها الشقراء الفاتنة ، فهو يحتاج إليها حيث ذهب .

ثم التفت إلى رجاله ، وقال :

ـــ سنقضى ليلتنا هنا يا رجال .. فلن أغادر المنطقة حتى يصبح من المؤكد شطب اسم (أدهم صبرى) من سجل الأحياء ، وحتى تمتلئ المنطقة تمامًا بأسماك القرش المفترسة .

* * *



١٢ ـــ الشبح ..

لم تكف (منى) لحظة واحدة عن البكاء والانتحاب ، طوال الساعة التى مرت منذ إلقاء (أدهم) فى الخليج ، وصب (چيمس) لنفسه كأسًا من الخمر ، وجلس باسترخاء على مقعد وثير فى مواجهتها ، وقال بهدوء :

ـــ متى سينتهى هذا البكاء يا فاتنتى الشقراء ؟.. لقد امتلأت المياه بأسماك القرش منذ ما يزيد على نصف الساعة ، ولابدّ أنه لم يبق من جسد (أدهم صبرى) ما يكفى لملء علبة ثقاب .

قالت (منى) بحنق :

ـــ هل تشعر بالفخر ؟

هزّ (چيمس) كتفيه ، وابتسم بنصر وهو يقول :

ـــ بالطبع .. من ذا الذى لا يشعر بالفخر لنجاحه

فى القضاء على أشهر وأشرس ضابط مخابرات فى العالم أجمع ، باعتراف (الموساد) ، و (المافيا) و (سكوربيون) .. إنه إنجاز رائع يا فتاتى .. إنجاز سيجعلهم جميعًا يعلمون من هو (چيمس براند) .

قالت (منى) بحنق :

ـــ إنك تكثر من ذكر اسمك ، وكأنك تخشى أن تنساه .

ابتسم (چيمس) بمرح ، وقال :

ـــ لن أنساه يا فاتنتى الشقراء .. ولن ينساه أحد بعدما قضيت على الشيطان المصرى .. إن التاريخ سيخلد اسمى يا عزيزتى .

قالت باشمئزاز :

ـــ نعم .. تاريخ الجريمة والشر .

رشف (چيمس) قليلاً من كأسه ، وقال بهدوء :

ـــ بل تاريخ الجاسوسية يا فاتنة .. وهذا يختلف .

هزت رأسها وهى تقول بامتعاض :

— إنك تمارس أقذر أنواع الجاسوسية .. إنك حتى لا تدافع عن وطن أو مبدأ .

قفز من مقعده ، وجذبها بقسوة من شعرها الناعم الطويل ، وهو يقول بشراسة :

— دعْك من هذه الفلسفات غير المجدية أيتها الشقراء .. لقد حطَّمت زميلك المسمى بالشيطان المصرى ، ولقد أصبحت ملكًا لى .

ارتعد جسد (منى) فجأة ، ورقص قلبها ، وهو ينبض بقوة وسرعة ، على حين تخشَّبت أطراف (چيمس) ، وشحب وجهه حتى حاكى وجوه الموتى ، وجحظت عيناه رعبًا عندما سمع كلاهما صوتًا هادئًا يقول برزانة :

— ليس بعد يا ملك الأوغاد .

استدار (چيمس) بحدَّة وسرعة نحو مصدر الصوت ، وكذلك فعلت (منى) ، وكادت تهتف باسم (أدهم) فى سعادة ودهشة غامرتين ، ولكن (منى)

و (چيمس) تصلَّبا رعبًا ، عندما وقعت عيونهما على مصدر الصوت .

فهناك على باب الغرفة كان يقف (أدهم صبرى) ساكنًا هادئًا ، وملابسه ممزقة تقطر منها المياه ، ووجهه جامد الملامح ، أزرق تمامًا ، وعلى عنقه آثار عضة من أسنان أسماك القرش ..

لم يكن هذا هو (أدهم صبرى) الذى عرفناه ، ولكنه كان شبح (أدهم صبرى) .

* * *

امتقع وجه (منى) ، وجمدت فى مكانها ، على حين تراجع (چيمس) بذعر ، ولوَّح بذراعيه فى فزع جنونى عندما اقترب منه الشبح قائلا بهدوء ، وبصوت خرج ممتلئًا عميقًا :

— هل ظننت أن الموت سيمنعنى من حماية زميلتى ؟

تراجع (چيمس) بذعر ، حتى ارتطم بمقعد ، فسقط جالسًا فوقه ، وهو يهز كفَّه أمام وجهه صائحًا :

— لا .. لا .. إنها خدعة .

اقترب الشبح بخطواته الهادئة ، وهو مستمر فى كلامه قائلاً :

— رفاق كثيرون لك فى الجحيم ينتظرون حضورك يا (چيمس براند) .

صرخ (چيمس) :

— لا .. لا ..

مدّ الشبح يده الزرقاء التى تتساقط منها قطرات الماء نحو عنق (چيمس) ، وهو يقول بصوته العميق الهادئ :

— ستصحبنى إلى هناك يا (چيمس براند) .. سنعود معًا إلى الجحيم .

صرخ (چيمس) صرخة متحشرجة مكتومة ، ثم سقط رأسه على صدره ، ولكن الشبح أحاط عنقه بكفه دون أن يضغطه ، ثم رفع رأسه ، ونظر نحو (منى) التى قالت بصوت مرتجف من شدة الانفعال :

— إننى لا أخشاك .. حتى شبح (أدهم) لا يمكنه أن يؤذينى .

ابتسم الشبح ، وقال بهدوء :

— عجبًا !.. لقد كنت أظنك مثلى ، لا تؤمنين بالأشباح يا عزيزتى !

نظرت (منى) إلى الشبح بذهول ، ثم اغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تندفع نحوه صائحة :

— مستحيل !! (أدهم)!!!.. يا لسعادتى !! كيف نجوت ؟

ابتسم (أدهم) وهو يتحسس وجهها بحنان ، وقال :

— من الواضح أنك لم تفهمى رسالتى يا عزيزتى .. أراهن أنك لا تعلمين من هو (هودينى) هذا .

قالت (منى) وهى تمسح دموعها ، وتتطلع إلى وجهه غير مصدقة :

— إنه ساحر ، أو شىء من هذا القبيل .

أومأ (أدهم) برأسه موافقًا ، وقال :

— هذا صحيح يا عزيزتى ، لقد كان (هودينى)

أشهر من حصل على لقب الساحر فى الثلث الأول من القرن العشرين ، بل ربما عبر التاريخ بأكمله ، ولقد كان يتميز بمهارة لا حدّ لها فى التخلص من القيود ، حتى أنه نجح يومًا فى الفرار من سجن (سنج سنج) الشهير فى أمريكا على سبيل الرهان .

ثم ابتسم ، وتابع وهو يمسح شعرها بحنان :

ـ وعندما كنت أقوم بتدريباتى الخاصة بالتخلص من جميع أنواع القيود ، أخبرنى مدرّبى أننى كدت أصل إلى مهارة (هودينى) ، ولقد كان مبالغًا بالطبع ، ولكن هذه التدريبات الشاقة والمتواصلة ساعدتنى على التخلص من قيودى ، قبل أن يجذبنى الحجر الثقيل إلى عمق تعجز رئتى عن تحمله ، وهنا أصبحت أمام مشكلة أسماك القرش ..

تركها (أدهم) ، وسار بهدوء إلى صوان (جيمس) ففتحه ، وتناول منه حُلّة جافة وهو يستطرد :

ـ اعتمدت على نقطة عجيبة فى طبيعة أسماك القرش .. نقطة أذكرها من دراستى السابقة للأحياء البحرية ، وهى أنها عندما تشم الدماء تتجه أولاً مباشرة إلى مصدرها ، وبعد أن تنتهى منه تكون شراستها قد ارتفعت ، فتلتهم كل ما حولها سواء كان ساكنًا أم متحركًا ؛ ولذلك فقد أسرعت قبل أن تنتهى أسماك القرش من التهام قطعة اللحم التى ألقاها (جيمس) ، فتعلّقت بهلب اليخت ..

وضحك وهو يرتدى سترة (جيمس) القصيرة ، وقال :

ـ ومنذ ساعة وأنا معلق هناك .

أشارت (منى) إلى وجهه الأزرق اللون ، وقالت :

ـ ولكن لم لجأت إلى هذا الأسلوب المسرحى ؟.. أعنى ذلك اللون الأزرق ، وتظاهرت بأنك شبح ؟

قال (أدهم) ببساطة ، وهو يمسح اللون الأزرق من على وجهه وذراعيه :

ـ هذا اللون الأزرق سهل الإزالة ، فما هو إلا بعض الحبر مخلوط بزيت المحركات ، أما عن السبب فى أدائى هذا الفاصل المسرحى فهو ..

صمت (أدهم) لحظة ، وظهرت الصرامة فى ملامحه وهو ينظر نحو (جيمس) مستطردًا :

ـ فهو أن فقدانه لوعيه من شدة الخوف ، عمل ينطوى على إذلال شديد له عندما يستيقظ ، ويكشف كيف خدعته إلى هذه الدرجة .

قالت (منى) بدهشة :

ـ ولكن الحراس العشرة ؟.. لقد صرخ (جيمس) ، ولكن أحدهم لم يهب لنجدته .. ماذا فعلت بهم ؟

هز كتفيه بلا مبالاة ، وقال :

ـ كان لابدّ من إطعام أسماك القرش يا عزيزتى .

صاحت بذعر :

ـ يا للبشاعة !!

ابتسم وهو يربّت على كتفها قائلاً :

ـ لست متوحشًا إلى هذه الدرجة يا عزيزتى .. لقد اكتفيت بأن أفقدتهم وعيهم ، واحدا بعد الآخر ، وها هم أولاء متناثرون على سطح اليخت .

تنهدت (منى) بارتياح ، وقالت وهى تشير إلى (جيمس) الفاقد الوعى :

ـ أنأخذه معنا أم نقتله ؟

حرك (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال بهدوء :

ـ لا هذا ولا ذاك يا عزيزتى .. إن (جيمس براند) ليس من النوع الذى يمكن إجباره على الاعتراف ، فهو مصاب بجنون العظمة ، مما يمنعه تمامًا من الاستسلام ، كما أن قتله لن يوقف نشاط شبكته ، فلابدّ أنه قد أعدّ من يخلفه و .....

صمت (أدهم) لحظة ، وظهرت على وجهه ملامح التفكير العميق ، ثم قال بهدوء :

ـ سنغادر اليخت معًا يا عزيزتى فى الزورق البخارى

الذى يحتفظون به للطوارئ ، وسنحاول اقتحام قصر (چيمس) هذه الليلة ، فقد نحصل على ما يدينه ، أو على ما يساعدنا على التخلص من شبكه الجاسوسية التى يتزعمها .

وظهر على وجهه تعبير غامض ، وهو يردف قائلًا :

ــ وسيكون من حسن حظى أن أحصل على المعلومة التى أنشدها بالذات .

* * *



١٣ ــ اقتحام الموت ..

قفز (أدهم) برشاقة ، متخطيًا الجزء الشمالى من سور قصر (چيمس براند) ، وأسرعت كلاب الحراسة المتوحشة نحوه ، وقد برزت أنيابها بشراسة ، ولكنها لم تكد تقترب منه حتى عرفت فيه (ألبرتو صوفيو) ، الذى كان يرعاها قديمًا ، ويقدّم إليها الطعام ، فأخذت تتقافز حوله بمرح ، وهى تدلّى ألسنتها بلهاث صداقة ، ومدّ (أدهم) يده يربّت على رأس كل منها ، ثم وضع سبابته على فمه وهمس :

ــ اخفضوا أصواتكم ، وإلاّ فشلت مهمتى .

وكأنما فهمت الكلاب المتوحشة ما يطلبه منهم (أدهم) ، فلزمت الصمت ، ولم يحاول أحدها أن يتبعه وهو يتسلل متسترًا بالأشجار نحو القصر الشاهق ..



قفز (أدهم) برشاقة ، متخطيًا الجزء الشمالى من سور قصر (چيمس) ، وأسرعت كلاب الحراسة المتوحشة نحوه..

دارت عين (أدهم) الفاحصة الخبيرة فى أنحاء المكان ، ثم اختار رجلاً يحمل مدفعه الرشاش ، ويشعل سيجارته بجوار نخلة منعزلة ، ترتفع أمام باب القصر الرئيسى ، فتحرك على أطراف أصابعه ، حتى سار خلفه تمامًا ، وربّت على كتفه قائلاً بهدوء :

ــ هل تسمح لى بالدخول أيها الوغد ؟

استدار الرجل بسرعة البرق مصوّبًا مدفعه الرشاش نحو (أدهم) ، ولكن قبضة هذا الأخير اندفعت بأسرع من البرق لتهشم فك الرجل ، وتلقى به فاقد الوعى ، دون أن يخرج من بين شفتيه حرف واحد ، على حين التقط (أدهم) المدفع الرشاش بمهارة ، ثم تناول السيجارة المشتعلة التى سقطت من فم الرجل ، ووضعها بين شفتيه ، وسار بهدوء نحو باب القصر ..

كانت ثقة الحراس فى قوة وسطوة (چيمس براند) تكاد تصل إلى حد الغرور ، حتى أنهم كانوا يقومون بحراسة القصر دونما حماس ، فلم يتصور أحدهم أن تبلغ

الجرأة برجل حد القيام بمحاولة اقتحام القصر ، وهكذا تراخوا جميعًا فى واجب الحراسة ، إلى الحد الذى جعلهم لا يلتفتون إلى (أدهم) وهو يدخل إلى القصر بهدوء ، وفى يده المدفع الرشاش ، وبين شفتيه سيجارة مشتعلة ، بل إن أحدهم لم يعترضه وهو يسير فى طريقه ، حتى وصل إلى غرفة مكتب (چيمس براند) ، فدخلها بهدوء ، وأغلق الباب خلفه ، ثم تنهّد وقال بسخرية يحدث نفسه :

ـ كنت أظن أننى سأحتاج إلى طابور من الدبابات لاقتحام هذا القصر ، وهأنذا أصل إلى هدفى بلكمة واحدة .

وأخرج السيجارة من بين شفتيه ، وأطفأها وهو يقول :

ـ عجبًا .. كيف يجد المدخنون لذة فى هذا السم ؟

وجلس بهدوء على المقعد الذى خلف المكتب ، ووضع المدفع الرشاش فوقه ، ثم أخذت أصابعه تعمل

بمهارة وحنكة فى أدراج المكتب ، حتى فتح أكبرها ، وأخذ يعبث بمحتوياته فى اهتمام بالغ ، حتى عثر على ورقة مزدانة بالنقوش الرسمية ، فرفعها أمام عينيه ، وقرأها بإمعان ، ولم يلبث أن ابتسم بارتياح وهو يقول بصوت غاية فى الخفوت :

ـ يا إلهى !! هذا أعظم ما كنت أتوقّع العثور عليه !!

ثم طوى الورقة ، ووضعها فى جيبه ، وواصل بحثه بين باقى الأوراق باهتمام ..

استغرقه ذلك الاهتمام ، حتى أنه لم يشعر بباب غرفة المكتب وهو يفتح بهدوء ، وإنما فاجأه صوت (چيمس) الذى يفيض بالغيظ وهو يقول :

ـ يا لك من صفيق !!.. أتجرؤ على اقتحام مكتبى أيها الشبح الزائف ؟

* * *

رفع (أدهم) رأسه بهدوء ، وابتسم بسخرية ، وهو

يتطلّع نحو (چيمس براند) ورجاله المحيطين به ، وفوهات مدافعهم الرشاشة مصوبة نحو (أدهم) ، الذى قال بهدوء :

ـ هل أفقت هكذا بسرعة من الغيبوبة التى صنعها جبنك يا ملك الأوغاد ؟

صاح (چيمس) بعصبية وهو يشير نحوه :

ـ لن أغفر لك إذلالى بهذا الشكل أيها المصرى .. سأحطّمك .. سأمزقك إربًا ، وأمثل بجثتك شر تمثيل .

ضحك (أدهم) بسخرية ، وقال :

ـ لا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها يا ملك الأوغاد .. هذا واحد من أمثال العرب الذين أذلّوا ناصيتك .

ارتجف جسد (چيمس) من شدة غضبه ، وهو يصرخ بجنون :

ـ لقد تجاوزت الحدود أيها المصرى .. إننى أصدر ضدك قرارًا بالإعدام .

وتراجع خلف رجاله صائحًا :

ـ مزقوه إربًا .. لا أريد أن يبقى منه سوى كتلة لا يمكن تمييز لحمها من عظامها .

* * *

إصدار مثل هذا الأمر غاية فى السهولة أما تنفيذه فيختلف .. خاصة عندما تكون الضحية هى (أدهم صبرى) .. فإطلاق النار على مثل هذا الرجل يحتاج إلى اتخاذ الوضع المناسب ، وتوجيه فوهة المدفع الرشاش إليه ، ثم الضغط على الزناد ، وهذه الخطوات تحتاج من الإنسان العادىّ إلى ثلاث ثوان فى المتوسط ، أما عند (أدهم صبرى) فهى تحتاج إلى أقل من ثلث هذا الوقت تقريبًا .. وهنا تكمن الصعوبة .

فقبل أن تضغط أصابع أحد الرجال السبعة على زناد مدافعهم الرشاشة ، كان (أدهم) قد التقط مدفعه الرشاش ، وهبط بجسده محتميًا بالمكتب المصنوع من خشب البلوط السميك ، وأطلق النار ليحصد خمسة

رجال دفعة واحدة ، ويطيح بمدفعى الرجلين الآخرين .

وتراجع (جيمس) فى ذعر ، وانطلق يجرى مبتعدًا عن المكتب صائحًا ، يطلب من باقى رجاله الدفاع عنه ، فقفز (أدهم) عابرًا المكتب الضخم ، ثم انطلق نحو الشرفة الزجاجية ، وعبرها بقفزة جريئة رائعة ، محطمًا زجاجها الذى تناثر على مساحة واسعة ، وهبط على قدميه فى حديقة القصر ، الذى تحوّل إلى ساحة معركة ..

حسب (أدهم) الأمر فى جزء من الثانية .. كان رجال (جيمس) يسدُّون الطريق بينه وبين بوابة الخروج ، ويزداد عددهم بالقرب من مرايا يمكن رؤية أى شخص يقبل لركوب السيارة ، فليس هناك أمل فى الهروب بواسطة إحداها ، ولم يكن أمامه سوى اتجاه واحد .. الإصطبلات ..

كان الأمر برمّته يذكّر (أدهم) بأيام الحروب ، فى أثناء التحاقه بالقوات الخاصة ، وهو يطلق رصاصات مدفعه الرشاش فى جميع الاتجاهات ، ويعدو متفاديًا الرصاصات التى تنهمر حوله كالمطر ، أما فى نظر رجال

(جيمس براند) ، فقد بدا لهم (أدهم) كعملاق مريد ، أو عفريت من الجان الذين تزخر بهم روايات ألف ليلة وليلة ، وقد انطلق من قمقمه ، واندفع يجرى بأسلوب شيطانى متفاديًا رصاصاتهم ، ومتخطيًا ما يقابله من عقبات ، فيدور حولها ، أو يتخطاها قفزًا ، وهو يطلق رصاصات المدفع الرشاش ، الذى يحمله بحكمة وإحكام ، وتصويب محكم ، وينطلق نحو اصطبلات الخيل ، التى خلت من الحراسة تقريبًا ..

ما أن وصل (أدهم) إلى الاصطبلات ، حتى شعر بأن الله — سبحانه وتعالى — يقوم على حمايته فى مهمته ، فلم يصب برصاصة واحدة برغم العدد الغزير منها ، الذى أطلق نحوه ..

ولم يُضع دقيقة واحدة ، مستغلًا خلوّ الاصطبلات من الحراسة ، حيث اتجه جميع الحرس إلى الحديقة ، فأطلق سراح الخيول جميعها ، وقفز ممتطيًا صهوة أشدها ، وجذب شعر معرفته بقوة ، فصهل الجواد وهو يضرب

الهواء بقائمتيه الأماميتين ، واندفع إثر لكزة من كعبى (أدهم) ، خارجًا من الإصطبل كالبرق ، وفوق ظهره الرجل الذى تطلق عليه إدارته اسم (رجل المستحيل) .

* * *

كان لاندفاع الجياد النادرة التى يحتفظ بها (جيمس) من اصطبلاتها أثر قوىّ على رجاله ، إذ توقفوا فى الحال عن إطلاق النار ، وظهرت الحيرة والتردد على وجوههم ، ولم تلبث هذه الحيرة أن انتقلت إلى أصابعهم وهى تداعب أزندة مدافعهم ، عندما انطلق (أدهم) فوق ظهر جواد شاهق البياض ، مندفعًا كفرسان القرن الماضى ، نحو الجانب الشمالى من سور القصر ..

اتخذ أحد الرجال قراره ، فصوّب مدفعه نحو (أدهم) ، إلا أن صوت (جيمس) ارتفع بذعر وجزع صائحًا :

— لا .. لا تطلقوا النار على هذه الجياد النادرة .

وصلت تلك العبارة إلى مسامع (أدهم) ، فأطلق ضحكة عالية ساخرة ، وواصل انطلاقه نحو الجانب الشمالى من السور ، وخرج من بين شفتيه صفير طويل ، أسرعت بعده الكلاب المتوحشة تعدو فى أثر جواده بمرح ، وكأنه يعابثها .. وانطلق هذا الموكب العجيب أمام عيون (جيمس) ورجاله ، الذين اشتعلت فى قلوبهم نيران الحقد والغيظ ..

وبقفزة رائعة تثبت مهارة الفارس ، وأصالة وقوة الجواد ، عبر (أدهم) بجواده الأبيض سور القصر ، الذى يبلغ ارتفاعه ما يربو قليلاً على المترين ، واخترق الطريق المواجه للقصر ، وسرعان ما تعالت ضحكته التى تجمع ما بين السخرية والانتصار وهو يغيب وسط ظلام الليل ، وما هى إلا لحظات حتى تلاشى صوت جواده المبتعد ..

خيم الصمت تمامًا على قصر (جيمس براند) ، وتعلقت عيون الجميع بالنقطة التى تخطاها (أدهم)

بجواده ، وشعر (چيمس) بدماء الغضب والغيظ تندفع إلى رأسه وعينيه ، وبذل مجهودًا خارقًا يمكنه الوقوف على قدميه ، وبصوت متحشرج قال لـ (أندرو) الواقف بجواره :

ـــ اطلب من (ليڤى) الحضور إلى هنا على الفور..

ثم رفع رأسه إلى أعلى ، وأردف بصوت مختنق :

ـــ لابُدّ أن يتَّحد كلانا للقضاء على هذا الشيطان المصرى .

* * *



١٤ ـــ ثورة الغضب ..

لوّح (ليڤى) بذراعيه فى غضب ، ثم أشار نحو (چيمس) صائحًا :

ـــ أنت المسئول عن هـذا الفشـل يا مسـتر (چيمس) .. لا تنكر أننى قد حذرتك من قبل .. لقد تنبأت لك بما حدث .

قال (چيمس) بحنق وهو ينفث دخان سيجاره :

ـــ كف عن هذا يا (ليڤى) .. إننى لم أتصور هذه الجرأة المذهلة التى يمتلكها هذا الرجل .

صرخ (ليڤى) بنصر وصاح :

ـــ هذا ما حذرتك منه يا مستر (چيمس) .. إنه نفس الخطأ الذى يقع فيه الجميع عندما يقدرون هذا الشيطان بأقل من قدره .

ثم جلس بشكل مباغت وهو يستطرد بحنق :

ـــ إن الأسلوب الوحيد للتخلُّص من هذا الشيطان ، هو قتله فى الحال فور وقوعه فى أيدينا .. إنه ينفذ دائمًا من الخطر ؛ لأن كل من يقع فى أيديهم يحاولون قتله بشكل استعراضى يملؤهم بالرضا ، وهذا هو الخطأ .

صاح (چيمس) بغضب :

ـــ كف عن هذا الحديث الأحمق يا (ليڤى) .. لن نقضى الليل فى الحوار حول أينا المخطئ .. لقد طلبتك كى نحاول تنسيق جهودنا للقضاء على هذا الشيطان .

زفر (ليڤى) بضيق ، وقال :

ـــ حسنًا يا مستر (چيمس) ما الذى تقترحه بالضبط ؟

نهض (چيمس) وأخذ يسير فى أنحاء غرفة مكتبه ، ثم نفث الدخان من فمه ، وقال :

ـــ لو أنه بقىَ فى (تكساس) فسيكون قد وقع بهذا شهادة وفاته ، فهذه الولاية بأكملها تقع تحت سيطرتى ، بما فى ذلك رجال الشرطة والحدود .

ابتسم (ليڤى) بخبث ، وقال :

ـــ وماذا لو أنه غادر الولاية ؟

ظهرت الحيرة على وجه (چيمس) ، ثم قال بعد برهة من التفكير :

ـــ دعنا نعترف بالأمر الواقع يا (ليڤى) .. لقد هزمنى هذا الشيطان المصرى ، وكشف الخطة التى حافظت عليها سرًّا مدة طويلة .. لو أنه أبلغ مخابراته بما عرفه عنى ، فإن خطة الحصول على المستندات تكون قد فشلت تمامًا .

قال (ليڤى) ببرود :

ـــ هذا خطؤك يا مستر (چيمس) ، ولكن .. لو أنك نجحت فى القضاء على هذا الشيطان المصرى ، فستكتفى دولتى بذلك .

ثم برقت عيناه بمكر ورائى وهو يستطرد :

ـــ وأعتقد أن لدىّ خطة تضمن محاصرته ، والقضاء عليه ، ما دام داخل حدود الولايات المتحدة الأمريكية .

سأله (چيمس) باهتمام ولهفة :

ـ هات ما عندك يا (ليڤى) !

نهض (ليڤى) واقترب من الهاتف وهو يقول :

ـ هل تعلم ماذا كان يفعل الرومان القدماء بأعدائهم ؟.. كانوا يضعونهم فى ساحة مغلقة لها أربعة أبواب .. باب يدخل منه الأعداء إلى الساحة ، أما الأبواب الثلاثة الأخرى فيطلقون عليها اسم (أبواب الجحيم) ، وخلف هذه الأبواب الثلاثة تقبع أسود تركوها تجوع فترةً طويلة ، حتى تزداد شراستها ، ووحشيتها ، ثم يطلقونها على أعدائهم فتفترسهم افتراسًا .

قال (چيمس) بضجر :

ـ ما علاقة ذلك بما تود أن تفعل يا (ليڤى) ؟

قال (ليڤى) وهو يرفع سماعة الهاتف ، ويطلب رقمًا ما :

ـ لو أنك تعلم أن دون (ريكاردو) خلف قضبان

السجن منذ أكثر من عام بسبب (أدهم صبرى) لعرفت ماذا أقصد ؟... إننى باختصار سأفتح أمام (أدهم صبرى) أبواب الجحيم .. سأطلق خلفه عصابات (المافيا) بكامل قوتها ، ومخابراتنا بكل إمكاناتها ، بالإضافة إلى شبكتك يا مستر (چيمس) ، سنحاصره حتى لا يجد وقتًا للراحة .

ثم ضحك فى خبث وهو يقول :

ـ إلاَّ فى قبره بالطبع .

* * *

هبّت نسمات الصباح الباردة على مدينة (سان أنطونيو) بولاية (تكساس) الأمريكية ، وخرج رجل أشقر الشعر ، أزرق العينين ، له شارب رفيع ، ولحية كثة ، من مكتب التلغراف بالمدينة ، وتوجَّه بخطوات رزينة هادئة صوب سيارة من نوع (الترانس آم) ، تقف بجوار الإفريز على الجانب الآخر من الشارع ، وبداخلها حسناء ، سوداء الشعر ، خضراء العينين ، ترتدى قبعة

عريضة الحواف ، من قبعات رعاة البقر ..

قذف الرجل قبعته على المقعد الخلفى ، ثم اندس بجوار الحسناء ، وأدار محرك السيارة وهو يقول بهدوء :

ـ لقد أرسلت تفاصيل مؤامرة (چيمس) بالشفرة إلى إدارتنا فى القاهرة ، وطلبت منهم التحقيق فورًا فى كيفية حصول هذا الوغد على معلوماته الخاصَّة بموضع الخزانة ، ونظام أمنها الإليكترونى ، وأرقامها السرية ومحتوياتها .

قالت (منى) وهو ينطلق بالسيارة :

ـ أعتقد أن المهمة قد انتهت بنجاح إذن ، ما دمنا قد كشفنا ما يرمى إليه هذا الرجل .

هزَّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ بالعكس يا عزيزتى .. إن مهمتنا قد بدأت عند هذا الكشف .. لقد تأكدنا من أن (چيمس براند) يعمل ضدنا ؛ ولذلك فمهمتنا تقتضى تصفيته .

قالت (منى) بدهشة :

ـ لماذا لم تقتله إذن عندما كان ذلك فى إمكانك ؟

قال (أدهم) بهدوء :

ـ لقد سبق أن أجبتك عن هذا السؤال يا (منى) .. إننى لا أسعى من أجل التخلص من (چيمس براند) ، ولكننى أسعى لتحطيم شبكته بأكملها .

سألته (منى) بقلق :

ـ وهل تعتقد أنه سيسمح لنا بذلك ؟

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

ـ ومتى ننتظر أن يسمح لنا الخصم بذلك يا (منى) ؟ على العكس أنا أتوقع أن تنفتح أمامنا أبواب الجحيم . الشئ الوحيد فى صالحنا أنهم لن يتوقعوا عودتنا مرة أخرى إلى (لاريدو) حيث يقيم (چيمس براند) .

ابتعدت سيارة (أدهم) و (منى) ، تشق طريقها عبر الطريق الصحراوى الموصل بين (سان أنطونيو)

و (لاريدو) ، وقد امتلأ قلباهما بالإصرار والعزم .. الإصرار على مواجهة (جيمس براند) وشبكته ، والعزم على تحطيم كل ما يمكن أن يسيء إلى أمن مصر .

* * *

« تم الجزء الأول »

ويليه الجزء الثانى من

قصة (قاهر العمالقة)

●● أبواب الجحيم ●●

المطبعة العربية الحديثة
٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية
القاهرة - تليفون : ٨٢٩٦٢٨٠

رقم الإيداع : ٣٦١٩